الجزء ١١ المجلد ٦



(دمشق) تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ م الموافق ربيع الآخر وجمادى الاولى سنة ١٣٤٥ هـ

الكراس الشارد

اخترت هذا العنوان للكلام على كراس مخطوط ظفرتُ به منذ أزمان بين أضابير الوسائل التي تحتوي عليها مكتبة أسرتنا . وكنت كلما تصفحت هذا الكراس او قرأت نبذاً منه تجددت لي رغبة في وصفه . واعلان أمره . مؤملاً ان أجد بين القراء من يهديني الى اسم الذي كتبه . او اسم الكتاب الذي منه شرد . وعليه حرّد . ومما زادني رغبة في نشر خبر هذا الكراس ان مضامينه تتعلق بوصف بعض المدن الشامية الساحلية وذكر أعيان من اهلها عاشوا في القرن الثاني عشر للهجرة اي منذ مائتي سنة . وعدا ذلك فان في عبارة الكراس وبعض كلماته ما يستدعي الاهتمام به والتأمل فيه .

اما أسلوب إنشائه فهو الأسلوب المسجع الشائع بين كتاب ذلك العصر : عصر الخفاجي والمحبي والنابلسي والشيخ البربير مع ركاكة في تركيب بعض الجمل ناشئة عن خطإ الناسخ او أن مؤلف الكتاب كان يكتبه عفو ساعته من دون تأنق ولا ترويز .

والكراس كله اثنتا عشر صفحة حسنة الخط . قليلة الغلط . وكل صفحة منها سبعة وعشرون سطراً . مفصولة الجمل بنقط حبر احمر . واول جملة من الكراس هي هذه الجملة : (فوق بان . او صوت عود ونغمة قيان) وآخر جملة منه (وقد قالوا من لم تطربه نغمات) . وقد اصابت الكراس رطوبة أبلت اطرافه . ومزقت حواشيه . لكنها لم تمسّ سطوره ولم تفسد شيئاً من معاني كلماته . ويظهر من شكل الكراس

انه ساقط من كتاب مخطوط . وليست صفحات الكراس ذات أرقام حتى يُعلم ان كان هو من اول الكتاب او من آخره ؟ وما هو مقدار حجم الكتاب بالجملة ؟ .

وخلاصة محتويات هذا الكراس ان كاتبه كان عند اخيه في مصر وقد حنّ الى وطنه طرابلس الشام وأحبّ العودة اليها فركب بحر النيل ثم البحر الملح ومرّ على حيفا وعكا وصيدا وبيروت وطرابلس . ووصف ما وقع له في كل منها . ومن اجتمع به من اهلها . هذا موضوع الكراس . اما موضوع الكتاب الاصلي بجملته فلا يدري إن كان كله وصف اسفار ورحلات للمؤلف . او هو تاريخ او أدب وقد جاءت الرحلة المذكورة بين أسطاره . وفي تضاعيف أخباره .

وقد اتفق لنا في تحقيق هذا الكراس مصادفة يمكن ان تكون غريبة لكنها لم تتم . ولم يُفسر بها حل : ذلك ان المؤلف كاتب الكراس تعرّض لذكر الامير حسن بن الاعوج حاكم حماة المتوفى سنة (١٠١٩) للهجرة (١٦١٠ م) واتى على بعض خبره .

ولما راجعت ترجمة هذا الامير في (خلاصة الاثر) للمحبي وجدته يقول في آخر الترجمة ما نصه : (ومع شهرته «اي شهرة الامير» التامة . وأدبه الغض لم يذكره احد من المؤرخين ولم أظفر بشيء من خبره الا في وريقات بخط ابراهيم رامي وهذا من أعجب العجب اهـ .) فظننت اول وهلة ان المحبي انما عنى بالوريقات وريقات هذا الكراس الذي انا في صدد وصفه منذ الساعة ويكون ابراهيم رامي هو صاحب الكراس . ثم لم ألبث ان ثابت اليّ نفسي فقلت : ان ابراهيم رامي كان قبل زمن المحبي بالطبع . وحوادث كراسنا الشارد وقعت في القرن الثاني عشر اي بعد المحبي بنحو قرن كما يفهم من تراجم بعض الاعيان المذكورين فيه . على ان ما اقتبسه المحبي من (وريقات) ابراهيم رامي في ترجمة الامير حسن كلام مسهب مفصل . وما جاء في (وريقات) كراسنا نبذة من خبره . وقطعة من شعره . هما بعض ما جاء في ترجمة المحبي .

وها نحن نذكر الآن تلاخيص من كراسنا او (وريقاتنا) مع اقتباس جمل وعبارات منها تكون ذات مغزىً في أسلوبها الإنشائي او في فائدتها التاريخية :

وصف الكاتب قلقه وحنينه الى وطنه . ثم بيّت الاستخارة عملاً بالسنة فدلت على البشارة بالسفر . قال واذذاك : « صممت العزم على التوجه والذهاب . وأويت نحو

طرابلس الفيحا الركاب » وكان يخفي سفره إشفاقاً من غُصص الدهر وعوائقه . قال : « واتفق وجود صديقنا الحميم . ومحبنا الذي على صدق الوداد مقيم . مَنْ اذا ذكرت الاماجد .... ذو الشيم التي .... والاخلاق .... والايادي .... والمكارم .... والكرم .... حضرت (١) الاخ نتيجة الزمان . مسيّر فُلك الامن في بحر الامان . مشتّت شمل اهل الكفر والطغيان . وقامع الفئة الباغية اهل الحرب والعدوان . وحامي صنجق الدعاليه (كذا) كل آن . جناب سليمان قوبطان . حماه الله .... وجمّل به الملك كما تجمّل الملك بآل عثمان » . فأخبره صاحبنا بعزمه على السفر الى بلاده وان يكون بصحبته في الغليون (٢) . فقبل (وأقسم بالله ان هذا الامر غاية ما يتمناه) . ويظهر ان المؤلف كان ضيفاً على بعض اصدقائه في احدى مدن مصر فما كان يسمح له بالسفر، لذلك قال : « أظهرت اني نازل الى العذبة لاجل توديع شقيقي لكونه قصد التوجه للبلاد .... فتوجهت الى العذبة وقد ركبت ظهر النيل . واخذت أتودع من رائق مائه العذب السلسبيل .... شعر :

(شاطئ مصر جنة   ما مثلها في بلد)
(لاسيما مذ زخرفت   بنيلها المطّرد) الخ الخ .

ثم ذكر قطعة من شعره في وصف النيل وهي قوله :

(أنظر الى النيل الذي   ظهرت به آيات ربي)
(فكأنه في فيضه   دمعي وفي الخفقان قلبي)

ثم قطعة من شعر القاضي الفاضل في وصف النيل وقطعة من قول احمد بن فضل الله العمري . وقطعة من قول ابراهيم بن عبدون . ثم قال : « فلما وصلتُ للعذبة وقد عزمت فيها على البيات .... اذا انا بقياسة (٣) تنحدر مع التيار . ولم

(١) هكذا بالتاء المفتوحة وقد تركناها على ما كتبت كما تركنا غيرها من اغلاط الإملاء . (٢) ضرب من السفن و يكون كبيراً كما يأتي . (٣) القياسة اسم لضرب من السفن ايضاً وقد ذكرها الشيخ النابلسي في رحلته الطرابلسية مذ عدد اسماء السفن بمناسبة ما شاهده منها في ميناء طرابلس الشام .

نزل تنحدر حتى جاءت ورست بجانب الدار . فاذا فيها صديقان : جناب اخينا في الله الحاج بكري فتح الله . وصديقنا الامجد . حضرة مولانا الشيخ احمد » ثم ذكر انهما جاءا ليمنعاه من السفر وان يرجع الى اهله وعياله . وهذا يدل انه كان نزيلاً مع اهل بيته في مصر وموطنه الاصلي طرابلس . ثم لما اصبح الصباح ودعهما وتوجه نحو الغليون (غليون سليمان قوبطان) قال : « فلما وصلتُ الى ما بين الموجتين . وملتقى البحرين العظيمين . وجدتهما كأنهما ملكان الخ . وقد عنى بالبحرين بحر النيل حيث يصب في البحر المتوسط » قال : « فاقتحمت ذلك العجّاج . وقد التقمت النقيرة (١) تلك الامواج » . ثم وصف هول ما لاقى في خروج النقيرة من مضيق فم النيل الى وسيع البحر حتى وصل الى الغليون ضحى النهار . فتلقاه صديقه سليمان قوبطان . وأطلق لقدومه المدافع وبهذه المناسبة عاد الى مدح القبطان والثناء على بعض أياديه . وقال انهم مكثوا على البغاز (البوغاز) ثلاثة ايام ثم اقتحموا اللجج ضحى النهار . ولم تغرب الشمس حتى غابت أراضي مصر عنهم فأنشد :

(وخلفت مصراً من ورائي . وخاطري بمصرٍ . ولكن اين من ناظري مصرُ)
(بلادٌ بها ما يشتهي متيسر على جيدها يا حبذا اللفُّ والنشر)

ثم قال : « فلم نزل والغليون بنا يسير .... حتى رمينا بمينة (ميناء) حيفا بعد خمسة ايام . مضت كأنها اضغاث احلام » . وبات تلك الليلة منتظراً الصباح للنزول الى (عكا) فلما ألقتهم الفلوكة على الساحل وجد جمعاً غفيراً من الاهالي وبينهم صديقه (السيد احمد اليلداوي) فسأله عن سبب قدومه الى عكا فأخبره بخبره قال : « فشكى لي انه له نحو الشهر مقيم . ولا يجد في عكا صديقاً ولا نديم . الا الفكر والاسى . والوحشة في الصباح والمسا . وسبب هذا الفكر والكروب العظام . اختلاف حكام البلاد وانقطاع طريق الشـام » . ويفهم من هذا ان اليلداوي المذكور من اهل دمشق (٢) . ثم ان الكاتب سأل اليلداوي عما اذا كان في عكا زيارات (اي مزارات) تجلب الفرح والمسرات . فذكر له مقام نبي الله صالح فذهبا الى زيارته . ومكث

---

(١) النقيرة ايضاً من اسماء السفن وذكرها النابلسي في ماذكر (٢) نسبة الى قرية يلدا بالغوطة

في عكا بقية النهار وودع صديقه السيد محمد البلداوي وعاد الى الغليون . قال : « ومن جملة التيسير وجود رجل في الغليون من أبناء حلب . ممن له رقة ولطافة وأدب » فكانا يقطعان الوقت في المناشدة والمذاكرة فسأله الحلبي يوماً عن قول القائل :

(آه من لي بظبية فتانه وهي تلهو ومهجتي ولهانه)
(ذات ثغر كأنه اللؤلؤ الرطـ ـب حكى كفها وحاكى بنانه)

ما المراد بمحاكاة ثغرها لكفها ومحاكاته ايضاً لبنان الكف ؟ فأجابه : بان ثغرها يشبه كفها بالتناسب والاستواء و يشبه بنانهـا بالحمرة قال : « فيكون الشاعر قصد تشبيهين : تشبيه أسنانهـا وتشبيه شفتيها على ما يظهر » . ثم ذكر ان هذين البيتين هما مطلع قصيدة مشهورة للامير حسن بن الاعوج حاكم حماه وسرد القصيدة بجملتها وأثنى على الامير المذكور وروى خبره الذي ذكره المحبي خاتماً به ترجمته . مذ كان مريضاً مثقلاً وقد بشروه بورود توجيه إمارة حماة عليه من الباب العالي فقال ما قال وانشد الابيات الثلاثة لنفسه ومنها :

(العندليب الورد كان امامه[1] لما قضى غنّى على النسرين)

(راجع ص ٥٠ جزء ٢ من خلاصة الاثر) . ثم عاد المؤلف الى ذكر الاديب الحلبي الذي صادفه في الغليون فقال : « وكثيراً ما كنت أتسلى بألفاظ هذا الظريف الاديب . واستملي منه كل خبر رائق . ومعنى غريب . وكان له يد في طب الابدان . ولا سيما في علم العين وفراسة الانسان . واما في الجراحة والشق والمشراط . فهو عذرتها لكنه لسوء الحظ أفرغ من حجّام ساباط . وفي اليوم الذي عزمنـا فيه على السفر جاءت شختور من عكا تجدّ القدفة[2] نحونا . فتطاولت لها الاعناق . لكشف حقيقة الخبر . فلما دنوا الى الغليون خرج منهم رجل عليه سيما النجا . غير انه كان والله الذي به جنون فتقدم وسأل عن رجل له علم باستخراج الحصي من المثانة ويكون له معرفة

(١) و يروى كان سميره . (٢) كذا بالدال المهملة وصوابه بالمعجمة . والقذف والجدف والجذف كله أن يسيّر الملاّح سفينته بالمقذاف والمجداف والمجذاف .

وإحاطة وديانة . فتقدم له صديقنا (الحلبي) وقال له هذا امر خطير . فان كنت تنشد ضالة فقد وقعت على خبير . غير انه على قدر معرفة الانسان . تتفاوت الاثمان . فبيّن لي كم ندفع من النقود . وعجل الامر لأبذل المجهود . فوقع الاتفاق . لدى جمع الرفاق . على دفع مائة وخمسين قرشاً رومية . غير الذي بصحبها من الهدية . فتهلل وجهه بالفرح والاستبشار . وودعنا وسار » . ثم وصف المؤلف تلذذه بمسامرة هذا الاديب الطبيب الحلبي . وأسفه على مفارقته . ثم قال : « وفي ذلك النهار مع التغليس . حلّ الغليون وحلت المراكب والقواويس[1] . فلم نلبث الا قدر ساعة اوساعتين . حتى أظلم الجو وغابت الشمس عن العين » . ثم وصف العاصفة وهياج البحر وتعالي الامواج وانسكاب الامطار وضراعتهم الى الله . وأنشد في ذلك اشعاراً ثم قال : « ولما اشتد الحال . وزادت الأوجال اقبلت علينا القواويس والمراكب . وتزاحموا[2] علينا من كل جانب . وقالوا للقبطان ايه (ايها) الامير . قد اشتد الحال والخطب كبير . فارجع بنا من حيث اتينا . وانظر بعين الرحمة الينا » . فرجع بهم وبعد قليل هدأت العاصفة فاستأنفوا السير حتى كشفوا قلاع صيدا . ثم وصلوا الى صيدا . قال : « فقال لنا القبطان : هل لك أرب بالدخول الى حماها . والتملي برؤية بقاعها ورباها ؟ فقلت : اما انا فلا حاجة لي بها . والامر اليك . فقال الأولى الدخول الى بيروت قبل هجوم الظلام . ثم بوّج[3] عن صيدا وقوّص لها مدفعاً تحية السلام . ولم نزل في شدة سير . نسابق الرياح والطير . حتى صرنا على رأس بيروت قبل غروب الشمس . وقلنا قد زال النصب واطمأنت النفس . فعند ذلك سكنت جميع الارياح . وقرّت

---

(١) الظاهر انه يعني بالقواويس ضرباً من السفن ولعل واحده (القياسة) التي مرت . (٢) يظهر من هذا ان الغليون هي السفينة الخاصة بركوب القبطان ويرافقها سفن أخرى للركاب او الجنود وقد سماها القواويس والمراكب ومجموع ذلك هو العمارة والاسطول ولدينا الارماذة وكلها كلمات أعجمية ماعدا العمارة . (٣) كلمة التبويج ما زالت تستعمل بين ملاحي بلادنا بمعنى العدول عن الرسوّ في مكان معين من الساحل .

حتى لا تجد شيئاً يطفئ المصباح . وصادفنا ثمة تيّار . لكثرة جريه يقص المسمار . وهو لنا نحو البر جاذب . وقد دار علينا الراس من كل جانب . وليس لنا هواء لظهر البحر يجينا . الا التيّار نحو البر يُلقينا . فلم نزل في عناء وكروب . حتى يسر الله لنا بريح طيبة بعد الغروب . ففدنا من الراس ودورناه . ووراء ظهرنا ألقيناه . فبدت لنا بيروت من خباها . وحصل لنا السرور لحسن مرآها . فتوجهنا لجزيرة ؟ بيروت وقصدناها . وبعد العشاء ين أخذ القلوع والمرسه ثمة ألقاها . فنزلت من القامات نحو الستين ولم تحصل القرار بيقين . فأخذ القبطان لذلك القلق . وكاد من شدة الغيظ ان يتمزق . وامر بأخذها فدارت اللوالب . وتزاحمت على ذلك اللاوند[1] بالمناكب . وبتنا بليلة نابغية . وأحزان بعقوبة . نراعي الافلاك والنجوم . ونخشى ان يكون لنا على البر هجوم . نسمع لهيصى[2] وليصى أنغام . تجلب الفكر وتذهب المنام » . ثم ذكر ان الحالة هدأت في الصباح فركبوا الفلوكة الى بيروت فرأوا في ميناها أمماً لا تكاد تحصى . ثم قال : « فلما دنونا بفلوكة القبطان . وعلى رأسنا منشور بيرق العز والامان . ظن جميع من حضر ان بها القبطان » . ثم لما عرفوهم . بادروا اليهم وحيّوهم . وكاد يقع القتال بينهم على اخذ أثقالهم . قال : « فأصلحت بين كل فريق . ونحن نسير في قارعة الطريق » . وطريقة الصلح الذي قرره بينهم هو ان تكون أثقاله في بيت زوجة والده « لان الجبر مطلوب . وفعل الصواب ليس عنه مرغوب . وبعد ذلك نساوي بينكم بالسهام . ولا نفضّل احداً على احد ايه (ايها) الكرام » ثم استحسن قبل كل شيء ان يزور قبر والده في المصلى ؟ فتوجه اليه وبصحبته جمعٌ أخيار . فقرأ القرآن ودعا له بالرحمة والغفران . ثم وصل رحمه بزيارة زوجة والده . قال : « ثم في

---

(١) يظهر أن المراد بهـا النوتية والملاحون ولعل الكلمة طليانية الاصل كسائر كلمات البحر الشائعة في الساحل الشامي . (٢) هي ايضاً من الكلمات التي يقولها ملاحو الساحل حين مزاولة عملهم لكن يفهم من سياق كلام الكاتب انهم كانوا يقولونهـا عند تسيير السفينة في البحر وعهدنا بهم في طرابلس يقولونها حين إخراج السفينة الى البر لترميمها او جلفطتها او الخوف عليها من ان تحطمها الامواج .

ثاني الايام . قدم لزيارتنـا خلاصة الاحباب الكرام . جناب صديقنـا الحاج محمد البشكار . بلغه الله من الخير الاوطار . وكان هذا المخلص الصديق . من اعيان بيروت عن تحقيق . وخاله ذو الطبع السليم . جناب اعزّ احبابنـا الحاج ابراهيم هو (اي البشكار) الذي بنى لاهل بيروت من المجد بيتاً رفيع العماد . ومن مكارم الاخلاق حصناً أسس دعائمه على الكرم و بالسماحة لها أشاد ... فلما دنى وسلم ... أنعشني .... وذكرني الايام التي مضت بصحبة خاله ريحانة الفؤاد .... ثم اعتذر عن التأخير .... ودعانا للضيافة .... فأجبناه .... فعمل لنا يوماً كأيام الخلافة .... وثاني يوم أضافنـا الحاج قاسم درويش .... وفي ثالث يوم أضافنـا الشيخ ابراهيم الرشيدي .... وفي اليوم الرابع تجهزنا للسفر وودعنا الاحباب . ودعونا الله ان يهيئ لي في الصباح الدخول الى اوطاني . ومربعي الذي مطايا السعد أوطاني » ويعني به طرابلس الشام . ثم أبدى التشوق اليها وأنشد اشعاراً في معنى حب الوطن . قال : « ثم بعدان اغتنمنا الوقت وصلينا . سرنا على قدم التيسير وللقلوع فتحنا وماتوانينا » ثم وصف طول تلك الليلة التي ينتظر في صبيحتها الدخول الى بلده . ثم قال : « فلما أسفر الفجر ... لمعت بوارق الانوار . وتبدّت طرابلس الغرا من تحت الستار » . ثم وصفها ووصف رياضها وأبراجها السبعة وما قيل فيهـا من الاشعار . وأطال في وصف حب الوطن ولذة الاجتماع بالاهل والخلان . الى ان قال : « فلما تأهبنا للنزول . وآن لنا بحمد الله الوصول . أهّب لنـا جناب أخينا سليمان قوبطان فلوكته المذهبة الأحزان . وامر بنشر الرايات والاعلام . وان يفتح فوق رأسنا بالفلوكة صنجق الاسلام . وقام بذاته المأنوسة . لا زالت بعين عناية الله محروسة . يهيئ أثقالنا . و ينزل الى الفلوكة مع غلمانه رحالنا . فلما بها استقر بنا . وعناء السفر وراء ظهورنا ألقينا . قوّص لنا ثلاث مدافع . وقد زال كل كرب ومانع » . ثم وصف دنوّهم من الميناء حيث اجتمع الناس يتطالّون الى الفلوكة ويتجادلون فيمن هو القادم فيها ? . قال : « ولم يختلف منهم انسان . ان الذي هو فيها هو القبطان . غير انه وقع بينهم خلاف . هل أنا بصحبة القبطان . أو في الفليون مقيم مع الاخوان? » . ثم وصف ما عراهم من الفرح مذ رأوه في الفلوكة وطوافهم حوله للسلام » . ثم قال :

« فتأملتُهم فلم أجد الا محباً أو حبيباً • او خليلاً او صديقاً او قريباً • ويقدم القوم جناب الاخ الشقيق • وبصحبته أعز خليل • وأصدق قريب • جناب مفخر المدرسين الكرام • ابن الخالة السيد محمد افندي النقيب (١) • فتوجهنا الى باب الخان (٢) • وقد تزاحمت علينا بالسلام الأحباب والإخوان » • ثم وصف ضيق باب الخان بالجمع المزدحم الذي أحدق به كلمحة البصر • فأشار اخوه عليهم بالنهوض على ظهر الدواب والتوجه الى البلد • فركبوا اليها • ثم وصف الرياض والبساتين التي بين المينا والبلد حتى وصلوا الى منزلهم • وكان اخوه قد هيأ لهم الغدا فتغدوا وقضى بقية النهار في استقبال الزائرين • ثم بعد ثلاثة ايام أخذ اهله واخوانه يتسابقون في إقامة المآدب له وجعل يصف مكارمهم ويثني عليهم وقد خصّ بالذكر كلاً من الشيخ عبد الله الخليلي مفتي السادة الشافعية والشيخ علي افندي الكرامي مفتي القادة الحنفية • ثم وصف احتفاء هما واحتفالها به وصفاً طويلاً • وقد توفي الشيخ علي الكرامي الموما اليه سنة (١١٦٢) هـ (١٧٤٨) م فتكون زيارة كاتب الكراس لبلده طرابلس في أواسط القرن الثاني عشر للهجرة • اما زيارة الشيخ النابلسي لها فكانت في فاتحة القرن المذكور قال كاتب الكراس : « ولم أزل بغرر لفظها أشنف الاسماع • وأروح القلب المرتاع • الى ان ورد علينا صديقنا الامجد • جناب الشيخ مصطفى المقيمي اسعد فأنزلناه منزلة العين من الانسان • وأحللناه محل الروح في الأبدان • ولم نزل نتملى بأحاديثه ... حتى وفد علينا زمن الربيع بانواره الخ » • وانتهى كلام الكراس في وصف ربيع

(١) أسرة النقيب هذه كانت معروفة في طرابلس الشام قديماً منها مفتي طرابلس السيد هبة الله افندي الذي اجتمع به واثنى عليه الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس سنة (١١١٢ هـ — ١٧٠٠ م) وقد انقرضت هذه الأسرة في أواخر القرن الثاني عشر ولم يبق منها الا امرأة أرادت ان تحج فتزوجت بالشيخ منصور جد أسرة المقدم المعروفة اليوم في طرابلس لاجل أن يحج بها • (٢) هو خان قديم واقع على شاطئ البحر في ميناء طرابلس وكان منزلاً للمسافرين قديماً وهو اليوم مركز للتجار والتجارات لوقوعه أمام دائرة الكمرك الكبرى •

طرابلس الشام . والشيخ مصطفى اللقيمي الذي قال الكاتب انه زاره للسلام عليه . قد ترجم له المرادي وهو ليس من أعالي طرابلس وانما هو دمياطي الاصل نزل دمشق ومات فيها سنة (١١٧٨) ه (١٧٦٤) م . وقد قال المرادي في صفته : « الشيخ العالم الفاضل الفرضي الحيسوب الكامل الأديب الناظم الجهبذ النقّاد العابد التقي الماجد الأوحد الزاهد العفيف الخ » . ولم يلقبه المرادي بأسعد كما لقبه كاتب الكراس حتى شككت في انه هو لو لم أجد في اشعار اللقيمي التي ذكرها المرادي قطعة قالها قبيل وفاته بساعات أودعها تاريخ وفاته ليُكْتَب على قبره فلم تبق شبهة في أن لقيمي المرادي هو لقيمي كراسنا والبيت الاخير هو قوله :

(ما ذا ثوى قبر اللقيمي أرخوا مستمنحٌ للعفو أسعد مصطفى)

سنة (١١٧٨) ه

هذا ما استحسنت نشره من التعليق على ذلك الكراس والتعريف به . فلعل بعض القراء يرشدنا الى البيت الذي منه خرج . والعش الذي فيه درج . واذذاك ينتظم الشمل . ويجتمع الفرع بالأصل .

المغربي

الغريب الفصيح في العامي

— ٣ —

(٣٨) رشم مرشوم — يقولون رشم البيادر اذا ختمها بالرشم والرشم عندهم هو ما يختم العشارون به الحب على البيادر اذا تأخر كيله او وزنه والحب مرشوم مختوم بالرشم . وفي اللغة رشم الطعام ختمه كما في القاموس . وفي العين الرشم بالفتح خاتم الطعام وسماه في القاموس الرَّوْشم وزان جعفر وفي غيره رشم كل شيء علامته وفسره في الصحاح باللوح الذي يختم به البيادر .

(٣٩) رَفِل مُرَفَّل رفلاء — و يقولون فلان رفل بفتح فكسر وزان كتف وهو مرفَّل كمذكر وهي رفلاء وكل ذلك معناه قبح اللبسة والعمل . وفي اللغة عين المعنى كما في المخصص ورَفل كنصر وفرح خرق باللباس وكل عمل فهو ارفل ورفل وهي رفلاء ورفلة كما في القاموس . الرفل الذيل عن المبرد واذا لم يحسن اللبسة صار ثوبه كالذيل .

(٤٠) رم رمرم — و يقولون رم اللقمة لاكها بحركة شفتيه المضمومتين ورمرم الطعام مثله ونقال غالباً للشيوخ الذين سقطت اسنانهم . وفي اللغة رمت البهيمة تناولت العيدان بفمها كارتمت والشيء اكله . عن القاموس وفيه ايضاً وكان ساكناً فترمرم اي حرك فاه

(٤١) رهدن ، لهدن ، رهدنه ، لهدنه — و يقولون فلان تلهدن وعمل لهدنة في الشيء الفلاني اذا توانى و كسل عنه وكثير يقولون ترهدن . وفي اللغة عن المخصص قال الطوسي الرهدل والرهدن الضعيف . وفي القاموس الرهدنة الابطاء .

(٤٢) على الريق — و يقولون فلان على الريق اذا لم يتناول طعام الصباح وما زات على الريق . وفي اللغة عن ابن السكيت اتيته على ريق نفسي واتيته رَيِّقاً اي لم أطعم ورجل رَيِّق على الريق .

(٤٣) زعب مزعوب — و يقولون زعبت فلاناً اذا طردته وهو مزعوب مطرود . وفي اللغة الزعب الدفع قال ابو عبيد ومنه سيل زاعب وهو الذي يزعب بعضه بعضاً اي يدفع وقال ابو حنيفة زَعَب السيل تدافعه . والطرد والدفع متناسبا المعنى .

(٤٤) زعط يزعوط — و يقولون زعط على فلان اذا صرخ به وصوّت عليه وهو يزعوط اي يصوّت · وفي اللغة زعط الحمار صوّت قاله المجد ·

(٤٥) زعل زعلان — و يقولون زعل فلان فهو زعلان اذا اضطرب فكره ولم ينشرح صدره لامر وزعل عليه اذا كدر خاطره فأعرض ونأى عنه · وفي اللغة كما في الاساس اصاب المريض زعل شديد وعاز اي اضطراب وهو في الاصل النشاط والاشر وهو مشهور بين الائمة ومن ذلك سموا زعلاً وزعلاناً اما ما كان بمعنى الاضطراب فهو مقلوب علز المشهورة بهذا المعنى ·

(٤٦) زغزغ — و يقولون فلان زغزغ نيته في الامر الفلاني اذا تردد في نيته على غير الظاهر منها واذا لم تكن صريحة فلا يخفي منها غير ما يظهر · وفي اللغة عن الاساس زغزغ في كلامه لم يبين معناه يقال لا تزغزغ وبيّن الحق ·

(٤٧) زكرة — و يقولون للجلد الصغير الذي يدخر فيه اللبن زكرة والجمع زُكر كبركة و برك · وفي اللغة قال ابو حنيفة في كلامه على الذوارع · الزقاق الصغار وهي ايضاً الزُكر الواحدة زُكرة وقال صاحب العين تزكر الشراب اجتمع ولعلها منه ·

(٤٨) تزلع مزلّع تسلع ومسلع — و يقولون للثوب اذا تشقق لوهن في نسجه تزلّع وهو مزلّع وزلعت الثوب بيدي اذا شددته حتى وهي نسجه وتباعدت لحمته وكثيرون يبدلون الزاي سيناً فيقولون تسلع وهو مسلع · وفي اللغة تزلع تشقق كما في القاموس ومنه قولهم شقة زلعاء اذا كانت مشققة وفي الاساس تزلعت يده تشققت وفي الاصل الزلع شقاق في القدم والكف وعن الخليل الزلع الشق ·

(٤٩) زوّق مزوّق — ويقولون هذا الشيء مزوّق اي منقش ومزين · وفي اللغة حكى ابن سيده عن ابي عبيد بيت مزوّق اي مصور لان اهل المدينة يسمون الزئبق الزاووق فكأن البيت سمي بذلك لانه زين بتصاوير يخالطها الزاووق · وفي القاموس لانه يجعل مع الذهب فيطلي به فيدخل في النار فيطير الزاووق و يبقى الذهب ثم قيل لكل منقش ومزين مزوّق ·

(٥٠) زول — ويقولون فلان له كسم وزول وزان قول اي هيئة حسنة · وفي

اللغة عن ابي زيد في النوادر الزول واحد الازوال وهم الظرفاء والانثى زولة · وفي الاساس وفتى زول خفيف ظريف ·

(٥١) سخام مسخم — ويقولون فلان مسخم مشحر اذا سوّد وجهه او جسمه بسخام القدر ويعنون بسخام القدر سواده وفلان به سخام ولطام اي مصيبة وذلك كما جرت العادة عندهم ان من فقد عزيزاً عليه او حلت به مصيبة يسود وجهه بسخام القدر ولذلك يقولون في مقام الدعاء على الشخص سخام يسخمه وشحار يشحره لان الشحار ايضاً سواد القدر او كل سواد يكون من الدخان والنار · وفي اللغة سخّم وجهه اي سوّده والاسم السخم محركة · وفي الصحاح السخمة السواد · وفي المصباح السخام كغراب سواد القدر وسخّم الرجل وجهه سوّده بالسخام ومثله عن الاساس ·

(٥٢) ساخن (صاخن) به سخونة سخنة — ويقولون فلان ساخن وعليه سخونة وركبته سخنة يريدون بذلك كله الحمى وربما بدل بعضهم السين بالصاد فقالوا (صاخن) وفي اللغة كما في القاموس وتجد سخنة مثلثة وتحرك وسخنا بالفتح وسخونة بالضم حمى او حراً ·

(٥٣) مسرولة — ويقولون للدجاجة مسرولة اذا نبت على ساقيها الريش · وفي اللغة كما في المخصص قال صاحب العين طائر مسرول قد البس ريشه ساقيه · وفي القاموس حمامة مسرولة في رجليها ريش ·

(٥٤) سكّر ، سكّرة ، سِكْر — ويقولون سكر الباب اذا أوصده وسموا السكّرة بضم فتشديد للخشبتين المصلّبتين اللتين يقفل بها الباب ويقال وضعه تحت السِكْر بكسر فسكون وربما عمموا ذلك لغير الباب · ويقولون سكّر الباب اذا سدّ منفذه بالسكر وهو حديدة ذات لولب يرفع ويخفض · وفي اللغة عن صاحب العين السكر بالفتح سدّك بثق الماء ومنفجره والسكر بالكسر اسم ذلك السداد الذي تجعله سداً للبثق ونحوه وقال ابن السكيت سكرتُ النهر اسكره سكراً (من باب نصر) سددته وقال ابن دريد اصله من سكرتِ الريح اي سكن هبوبها ·

(٥٥) سوسه — ويقولون صار لي في هذا الامر سوسه وهذا الشيء معه سوسة اذا دأب عليه حتى صار من طبعه وصار معي سوسة بهذا الشيء اي صار لي به ولع ·

وفي اللغة الفصاحة من سوسه اي من طبعه والكرم من سوسه كذلك . وفي القاموس السوس بالضم الطبيعة .

(٥٦) شخب شخباً — و يقولون شخب اللبن شخباً (من باب نصر) اذا خرج مندفعاً من الضرع متصلاً بالاناء . و يطلقون الشخبة على الدفعة منه . و يقولون شخب دم الذبيحة اذا خرج من الودج كما يخرج اللبن من الضرع . وفي اللغة الشخب بالضم ما خرج من الضرع من اللبن اذا احتلبته . والشخبة الدُفعةُ منه والجمع شِخاب وعن ابي عبيد شخب اللبن يشخب ويشخب من باب فتح ونصر . وفي العين الشخب ماامتد من اللبن حين يحلب متصلاً بين الاناء والطبي . وقال ابن دريد وصاحب العين الشخاب بالكسر اللبن (لغة حميرية) وكل شيء سال فقد شخب .

(٥٧) شفان — و يقولون لما تذريه الريح من خيوط المطر فيضرب الابواب و يدخل في النوافذ شِفان بالكسر ثم فاء مشددة . وفي اللغة شفان ككتان بالفتح الريح . وشفيفها بردها قاله ابوحنيفة . وفي القاموس غداة ذات شَفّان بردٍ وريح . وفيه والشَف و يكسر الريح وفي الاساس وتقول عند هبوب الشفان تقلص الشفتان .

(٥٨) شِمالة ، شمايل ، شمّل — و يقولون شمالة بالكسر لما يقبضه الكف من حزمة الحشيش ونحوه . ومنه شمالة الحصّاد لما يقبضه بكفه من الحصيد و يجمعونها على شمايل و يضيفون منها فملاً فيقولون شمّل السنبل اذا جعله شمالات شمالات . وفي اللغة قال ابو حاتم وكل قبضة قبض عليها الحاصد تسمي شِمالاً (بالكسر) وفي القاموس . وككتاب كل قبضة من الزرع يقبض عليها الحاصد .

(٥٩) شنغوب ، شنغب ، شناغيب — و يقولون للغصن يتفرع منه غصن صغير معترضاً شنغوب (بالفتح) . وشنغب الغصن صار له شنغوب وشناغيب وهو مشنغب . وفي اللغة عن ابن دريد الشنغوب (بالضم) أعلى أغصان الشجر . وفي القاموس الطويل الدقيق من الارشية والاغصان .

(٦٠) شاط ، شائط — و يقولون شاط القدر اذا احترق فيه الطعام وشاط الطعام فهو شائط اذا كان فيه طعم من اثر الاحتراق وشيّط الطعام اذا صيره شائطاً .

وفي اللغة عن صاحب العين شاط شيطاً وشياطةً وشيطوطةً احترق . وأشطته وشيَّطته أحرقته ومثله عن القاموس . وفي المصباح شاط يشيط احترق .

(٦١) شوص ، شوَصًا ، شوصاء — ويقولون شوص يشوص (من باب ضرب) شوَصًا (محركة) وعينه شوصاء والشَّوص ان يضرب انسان العين الى الاعلى . وفي اللغة كما في القاموس الشوصاء العين التي كأنها تنظر من فوق .

(٦٢) صبَّره ، صبُّور فهو مصبَّر — ويقولون صبَّروا الحنطة صبُّوراً واحداً وهذا الحب مصبَّر . وفي اللغة صبَّروا طعامهم جعلوه صُبْرَة . وفي الاساس وعنده صبرة من طعام وصبر والمال بين يديه مصبَّر . وفي القاموس الصُبرة بالضم ما جمع من الطعام بلا كيل ووزن وقد صبَّروا طعامهم .

(٦٣) صُبَّة — ويقولون صُبَّة بضم ثم باء مشددة وزان قبَّة يريدون بها صبرة الحب من حنطة وغيرها . وفي اللغة الصُّبَّة الكثبة من الطعام وغيره قاله ابن دريد (والكثبة بالضم) طائفة من طعام وتراب وغيره وكل مجتمع .

(٦٤) مصنع — ويقولون لمخزن الماء الكبير مصنع واذا أرادوا تعظيم عين محقونة قالوا هي كالمصنع . وفي اللغة المصنعة والمصنُعة والصنع بالكسر الموضع الذي يتخذ ويحتفر فيه بركة يحتبس فيها الماء . وقال صاحب العين وكما اتخذ من بئر او بناء مصنعة .

(٦٥) صول مصول — ويقولون صوَّل الكاس بالمصول اذا صب عليه ماءً ليستخرج منه الحصى وصوَّل الحنطة غسلها بالماء من التراب . وفي اللغة التصويل اخراجك الشيء بالماء . وفي القاموس والتصويل اخراجك الشيء بالماء وحنطة مصوَّلة .

(٦٦) ضبّ — ويقولون ضبَّ الشيء يضبه (من باب نصر) اذا جمعه اليه . وفي اللغة الضب في الحلب ان تضع إبهامك على الخلف ثم ترد اصابعك على الإبهام والخلف جميعاً . وفي القاموس وجمع الخلفين في الكف للحلب فاستعمال العامة له من المجاز .

(٦٧) الطَّس — ويقولون طسَّه اذا ضربه وكان به ظافراً . وفي اللغة كما في القاموس طسه خصمه وابكمه ولا تخفى المناسبة بين العامي والفصيح .

(٦٨) طلمه ، طلميّه ، طلامى — و يقولون للخبزة المكتنزة طلمه وزان ظلمه وطلميـه بضم الطاء وتشديد الياء على النسبة و يجمعونها على طلامى . وفي اللغة الطلمة الخبزة وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ برجل يعالج طلمة وقد عرق من حر النار وتأذى فقال لا تمسه النار ابداً . والتطليم ضربك الخبزة بيدك وطلم الخبزة سواها . ولما كانت الرقاق غير معروفة عند العرب كانت الخبزة المكتنزة اولى باسم الطلمة عند العامة .

(٦٩) طيْس طوّس مطوسه — و يقولون سقى الارض (طيس) وطوّس الارض اذا سقاها بالماء الكثير بان يغمرها كلها وفلان في نعمة طيس اي كثيرة والاسم التطويس . وفي اللغة الماء الطيس الكثير عن ابن دريد او هو العدد الكثير او كثرة كل شيء من الرمل والماء وغيره عن القاموس وطاس يطيس كثر عن الائمة .

(٧٠) عنّه — يقولون عنّه بالشيء عنفـه لائماً و بخه وقال له فعلت وفعلت . وفي اللغة عته بالكلام وبخه كما في القاموس فتزيد فيها العامة تاء ثالثة مع بقاء المعنى كما هو .

(٧١) عجي ، عجيه ، عجيان — و يقولون للولد الصغير عجي كصبي وعجيه كصبيه و يجمعون على عجيان كغلمان وعجان بالكسر . وفي اللغة عجوت الولد وعجيته عجواً فهو عجي والانثى عجيه عللته بالطعام واخرت رضاعه وقد عوجي اذا منع من اللبن وغذي بالطعام والاسم العجوة بالفتح و بالضم وعن الزجاجي العجي من الناس الذي تموت امه فيقام عليه فاذا مات ابوه فهو يتيم فاذا ماتا معاً فهو لطيم .

(٧٢) عرزال — و يقولون لما يبنى من غصون الشجر عالياً عن الارض عرزال وزان سروال ويسمونه السرير ايضاً ينام فيه ناطور الزرع والبيادر والبساتين وانما يرفعونه عن الارض حتى لا ترقى اليه الهوام ولا الوحوش . وفي اللغة العرزال مايبنيه الناظر فوق النخل والشجر فراراً من الاسد وهو ايضاً موضع الاسد ومايهده لاشباله من القصب وانه البيت يكون فيه الملك اذا قاتل . وفي القاموس هو موضع يتخذه الناطور في اطراف النخل خوفاً من الاسد .

(٧٣) عرقب — و يقولون فلان عرقب من الخوف اي وهن عرقوبه فلم يقدر

على المشي ويقولون فلان عرقب خيله اذا قطع عراقيبها · وفي اللغة عرقبه أصاب عرقوبه · وفي القاموس عرقبه قطع عرقوبه ·

(٧٤) عرمه — ويسمون ما يجمعون من أكداس الزرع بعد ان تداس عرمة وزان قصبة ويجمعونها على عِرَم وعِرام ويشتقون منها فعلاً فيقولون عرّم فلان بيدره · وفي اللغة عن المصباح اذا دقت أكداس الطعام ودرست فهي العُرمة وزان غرفة والعرمة وزان قصبة لغة فيها · وفي القاموس العرمة محركة رائحة البطيخ والكدس المكدوس لم يذرّ ·

(٧٥) العطبة ، العطب — ويقولون للثياب القطنية عطب وزان قفل وفي رائحة القطن المحروق عطبة وزان غرفة ويقولون فلان عطّب لفلان اي أحرق له قطنه وأنشقه ريح حريقها · وفي اللغة عن المخصص العطب (كقفل) القطن واحده عطبة ومثله في القاموس وقال ايضاً والعطبة خرقة تأخذ بها النار · وفي الاساس اجد ريح عطبة اي قطنة محترقة وقال ابن هرمة :

وجئت بعطبتي أسعى اليها وما خاب اعتطابي واقتداحي

(٧٦) عفك معفوك عفكة — ويقولون فلان عفك عمله عفكاً اذا لم يقم به على وجهه فكان غير منتظم وفلان انعفك وهو معفوك وعليه عفكة اذا اختلط الناس حوله وعفكه اذا جمله لا يحسن العمل · وفي اللغة عن القاموس عفك الكلام يعفكه لم بقمه والأعفك الأعسر ومن لا يحسن العمل والعفك الحمق والمناسبة ظاهرة بين العامي والفصيح ·

(٧٧) عقرب ، معقرب — ويقولون عقربت الخيط اذا فتلته حتى التوى بعضه على بعض وخيط معقرب بصيغة الفاعل والمفعول هو كذلك او فعل به ذلك · وفي اللغة كما في المخصص في قول الشاعر :

(وجاؤا يجرون الحديد المعقربا)

قال زعم ابن دريد انه يريد الدروع لان حلقها ملوية يقال عقربت الشيء لويته وفي القاموس والمعقرب بفتح الراء المعوج والمعطوف ·

(٧٨) عقّب — ويقولون عقّب على الشيء اذا ثنى شده بخيط او نحوه بعد

شدته الاولى حتى لا يفلت · وفي اللغة عَقَبت السهم أعقبه عقباً وعقّبته شددته بالعقب وكذلك كل شيء تكسر فشد حكاه ابن سيده عن صاحب العين والعقب محركة عصب المتنين والساقين والوظيفين كانوا يتخذونه للشد · وزاد في القاموس وهو العصب تعمل منه الاوتار وعقب القوس لوى شيئاً منها عليها ·

(٧٩) معمرط — و يقولون فلان معمرط بصيغة الفاعل اي طويل وعمرط اي امتد جسمه وطال · وفي اللغة عن القاموس في مادة (ع م ر ط) وكبرقع الطويل ·

(٨٠) عنفص — و يقولون عنفص فلان اذا تكلف القوة وهو ظاهر العجز فهو معنفص والمصدر العنفصة · وفي اللغة التعنفص الصلف والخفة والخيلاء والزهو وربما كانت في اللغة العلفصة باللام بدلاً من النون وهي كما في القاموس ان تلوّي من يصارعك تلوية وانت عاجز عنه ·

(٨١) العيش — و يسمون الخبز العيش وكثير من يجعله مرادفاً للفظ الخبز · وفي اللغة حكى ابن سيده عن ابن دريد العيش الطعام بلغة اهل اليمن وفي كتاب العين ان الطعام غلب على الخبز والبر ·

(٨٢) عيط ، عيطة ، العياط — و يقولون عيط فلان لفلان بتشديد الياء اذا ناداه برفيع الصوت · وعيط فلان اذا رفع صوته بالكلام · و يقولون قامت العيطة اذا علا الصراخ والاسم العياط · وفي اللغة عيط اذا مد صوته بالصراخ وهو العياط عن الاساس فكأنه مأخوذ من العَيَط محركة وهو طول العنق لان الذي يمد صوته يمد عنقه على الغالب · وفي القاموس التعيُّط الصياح او صياح الأشر (الاشر البَطِر كافر النعمة) ·

(٨٣) غلث غلثة — و يقولون للحنطة وغيرها من الحبوب اذا كان فيها زوان وتراب ونحوهما هي غِلْثة وزان سِدرة وهذا الحب غلث وزان كتف وإبل · وفي اللغة المغلوث طعام فيه مدر وزوان · قال ابو عبيد الغليث من الطعام المخلوط بالشعير فاذا كان فيه المدر والزوان فهو المغلوث · وفي القاموس الغليث الطعام يُغَث بالشعير كالمغلوث ·

(٨٤) نخم منخم — و يقولون بكى الصبي حتى نخم اذا انقطع صوته من البكاء ·

وفي اللغة عن القاموس وخَمَ الصبي كنصر وعلم وعني خماً وخاماً وخوماً بالضم بكى حتى انقطع نفسه · وفي المصباح خم الصبي يخم بفتحتين خوماً وخاماً بالضم بكى حتى انقطع صوته ومنه قيل أخمت الخصم إخماماً اذا أسكته بالحجة · وفي الاساس بكى الصبي حتى خم انقطع نفسه واربد وجهه وأخمه البكاء ·

(٨٥) فدغ مفدوغ — و يقولون فدغ فلان فلاناً يفدغه (من باب فتح) اذا جرحه في رأسه ورأسه مفدوغ مجروح · والبطيخة ونحوها مفدوغة اذا كانت مضروبة ضربة تنفذ في جوفها · وفي اللغة عن القاموس فدغه كمنعه شدخه او هو شدخ الشيء المجوف · وقال ابو زيد فدغت أفدغ وثلغت أثلغ وشدخت أشدخ معناهن واحد ولا يكنّ الا في كل رطب و يقال شدخت رأسه وثلغته ايضاً وكذلك البطيخة والكمء وما كان رطباً ·

(٨٦) فرشخ فرشخة — و يقولون فرشخ بالخاء المعجمة اذا باعد ما بين رجليه وهو يمشي فرشخة اذا كان يمشي مباعداً ما بين رجليه · وفي اللغة تفرشحت الناقة بالحاء المهملة تفحجت للحلب وفرشح فرشحة وفرشحى وثب او قعد مسترخياً فألصق فخذيه بالارض او فتح بين رجليه عن القاموس وظاهر من ذلك تحريف العامة باعجام الحاء وجعلها خاء وله نظائر وظاهر ايضاً المناسبة بين العامي والفصيح ·

(٨٧) فرعه — و يقولون فرعه بالعصا اذا ضربه على رأسه · وفي اللغة فرع رأسه بالعصا ضربه بها او علاه عن ابي عبيد ومثله عن القاموس وكأن فرعه مأخوذ من الفرع ومعناها فرعه على فرعه وفرع كل شيء أعلاه فهو من المجاز ·

(٨٨) الفرض مفروضة — و يقولون فرضت على العصا فرضاً او على العود اذا حززت فيه بالسكين وعصاً مفروضة · وفي اللغة عن ثعلب الفرض الثقب والحزّ جمعه فروض وفراض وعود مفروض وفريض قال ابن السكيت فرضت العود والمسواك أفرضه فرضاً (باب ضرب) حززت فيه · وفي القاموس (الفرض) الحزّ وفي غيره مثله وأنشد في الاساس :

(شخت الجزارة في ساقيه تفريض)

اي تحزيز ومنه فرضة القوس لموضع حزّها للوتر عن المصباح ·

(٨٩) الفزر ، فزرته ، مفزور ، انفزر — و يقولون فزرت البطن والظرف افزره (من باب ضرب) اذا خرقتـه وشققته ونفزر جسم فلان اذا امتلأ لحماً وشحماً حتى كاد يتشقق من الامتلاء . وفي اللغة عن صاحب العين انفزر الثوب تشقق . وعن ابن دريد فزرته أفزره فزراً . وفي المصباح هو من باب ضرب قال وفزر الثوب ونحوه فزوراً انشق . وفي القاموس فزر الثوب شقه فتفزر وانفزر ثم قال والفزراء الممتلئة لحماً وشحماً .

(٩٠) فزّ ، فزْ فزَة — و يقولون فزّ الولد وغيره فزّاً اذا وثب و يقولون تعلّم فلان الفز اي الوثوب وهو شاطر بالفزفزة يريدون النز . وفي اللغة الفز ان يجمع الظبي قوائمه و يثب حكاه ابن سيده في المخصص . والفز الخفيف ومنه استفزه الخوف اي استخفه قاله الائمة . وفي القاموس فز عدل وانفرد والظبي فزع . وكلها ترجع في الحقيقة الى معانٍ متقاربة وربما كان الاصل متحداً .

(٩١) فشخ — و يقولون فشخه اذا جرحه برأسه ولايطلقونها الا على جرح الرأس وفي اللغة الفشخ ضرب الرأس باليد . قال في القاموس فشخه كمنعه ضرب رأسه بيده و يقولون فشخ فلان اذا وسع خطاه ووسع فلان فشختـه اذا باعد ما بين مواقع أقدامه . وفي اللغة فشح بالمهملة كمنع فرج ما بين رجليه كفشّح .

(٩٢) فشة خلق — و يقولون دعني أفشُّ خلقي اي اظهر ما يحوك في نفسي ليذهب ما بها من ألم الغم ويسمون رئة الانعام في الذبائح فِشه بكسر الفاء لانها اذا عصرت خرجت الريح المخزونة في خروبها . وفي اللغة فششت الضرع اخرجت مافيه عن ابن حاتم وتوسع ابن دريد فقال فششت الوطب أفشه فشاً اخرجت ما فيـه من الريح بعد ان كان منفوخاً وجعل الفارسي هذا من ذلك .

(للكلام تتمة) احمد رضا

عضو المجمع العلمي

تاريخ الطب عند العرب
- ٣ -

وقد نبغ الى جانب الرازي في الطب علي بن العباس المجوسي من الاهواز وقد كان طبيباً مجيداً متميزاً في صناعة الطب . ومن موجبات الاسف اننا لم نقف على كثير علم من ترجمته . وله الكتاب المشهور الذي يُعرف بالملكي صنفه للملك عضد الدولة الديلمي من آل بويه . وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها في عشرين مقالة . وقد نسق فيه سبل الأقدمين ما عدا المفردات الطبية فزاد عليها كثيراً . وفيه لابن العباس نظريات ومشاهدات خاصة في الحصاة وانقلاب الرحم وهو اول من ذكر فرقعة العظم في تشخيص الكسور وحصول الكسر من جراء التقلصات العضلية الشديدة . وقد انتقد المجوسي في مقدمة كتابه الملكي أعاظم الأطباء الاقدمين والمعاصرين له ، وأظهر نواقص كل منهم مما ينطق ببعد نظره وسعة علمه . والملكي هو الكتاب الوحيد في الطب الذي حمله الصليبيون معهم الى اوربا ونقله الى اللاتينية قسطنطين الافريقي الشهير وانتحله لنفسه تحت عنوان پانتيني ودرسه في مدرسة سالرنة فطار ذكره في جميع انحاء اوربا ولقب بالعلامة المجدد الى ان ترجم الملكي الى اللاتينية آتيان الانطاكي في القرن الثاني عشر للميلاد فانكشف اذ ذاك عن حقيقة قسطنطين الحجاب واتضح انه منتحل ذخيرة الكتب العربية كما سيأتي بيانه .

وبينا العرب في المشرق يستقطرون العقاقير ويحلون المعادن ويستخرجون الكحول ويصفون الحصبة والجدري ويعالجون الحميات بالماء البارد كان اخوانهم في المغرب في تلك الاندلس الجميلة يشرحون الاجساد ، ويخزعون الحصاة ، ويجبرون الكسور ، ويعملون الاعمال الجراحية الكبرى ، وفي رأسهم ابو القاسم الزهراوي محيي الجراحة ومجددها .

ولد ابو القاسم في الزهراء قرب قرطبة ، وقد اختلف في تاريخ ولادته ويغلب ان تكون في أوائل القرن الحادي عشر . وكان طبيباً فاضلاً خبيراً بالادوية المفردة والمركبة وجراحاً كبيراً بلغ بالجراحة مبلغاً لم يصل اليه غيره من الاطباء في ذلك التاريخ .

أهملت الجراحة زمناً عند العرب على نحو ما بقيت أعصاراً مهملة عند الغربيين. وكان العرب يحتقرونها لانها صنعة يدوية . و بالنظر لامتناعهم من تشريح الموتى وقناعتهم من هذا الفن بما يدرسونه في كتب الأقدمين ظلت الجراحة عندهم متأخرة زمناً غير قليل . ومازال حال الجراحة والتشريح من الاهمال على ذلك حتى جاء ابو القاسم الزهراوي فحطم بجديد جرأته تلك القيود ، وبدد بساطع حجته تلك الاوهام ، ونهض بالجراحة من سافل محطها الى اسمى ما يليق بها من الكرامة والرقي . فحث على درس التشريح وحض على تشريح الموتى . وبذل كل ما أوتيه من قوة في سبيل ترقية الجراحة وتعليمها . وله في صناعة الطب تصانيف مشهورة أفضلها كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف وهو مؤلف من ثلاثين كتاباً . اول كتاب منها يبحث في العموميات الطبية ثم يأتي درس الامراض على اختلافها بالترتيب ويمتاز الكتاب الواحد والعشرون بفصل خطير بحث فيه ابو القاسم في تفتيت الحصاة داخل المثانة و كيفية صنع هذه العملية ذات الشأن التي لم يسبقه اليها احد . وفي الكتاب الثامن والعشرين يبحث في الادوية البسيطة ويقسمها الى ثلاثة أقسام الأدوية المعدنية والأدوية النباتية والأدوية الحيوانية . وهو كتاب فريد في بابه مبتكر في تصنيفه غني بشروحاته في الأدوية المفردة . اما الكتاب الثلاثون فهو أجل ما كتب وخيرة ما ابتدع في الجراحة الى ذلك العهد نقله جراردي كريمونا الى اللاتينية في القرن الثاني عشر في مدينة طليطلة ومنه نسخة في المكتبة الأهلية في باريز رقم ٧١٢٧ .

ويمتاز هذا الكتاب بالصور والرسوم فهو اول مؤلف شوهدت فيه رسوم الأعضاء والهيكل العظمي ورسوم جميع الآلات الجراحية المذكورة في متنه مع وصف كيفية استعمالها . وهو يقسم الى ثلاثة أقسام : فالجزء الاول يبحث في الكي وفوائده وفي الأمراض المختلفة التي ينفع فيها . ويبحث ابو القاسم في الجزء الثاني في الجراحة بالآلات القاطعة وفيه يتكلم على كيفية استئصال السليلة الأنفية (البوليبس) بواسطة آلة اخترعها لهذه الغاية على شكل صنارة ويصف كيفية استئصال العقد اللنفاوية الرقبية المزمنة ويبحث في كيفية اخراج السهام الداخلة في الجسم و يتكلم في الجروح النافذة في البطن والصدر وفي طريقة اخراج الاجسام الاجنبية من داخل المري بواسطة اسفنجة متصلة

بخارج الفم بخيط متين ، وفي قدح العين بواسطة آلة مجوفة يمتص منها . و يستدل من مشاهداته انه أجري تدر يز البطن (Gastrovrhaphie) وخزع القصبة (Bronchotomie) وانه اول من خزع الحصاة عند المرأة (Lithotomie) وقدعثرنا على وصفه هذه العملية الخطيرة في ذيل كتاب الحصى للرازي المنوه به سابقاً . وهو اول من أصلح طرز عمليات البتر وكان من قبله يبترون القسم المعتل فقط ، اما هو فقد أوصى بالقطع في الأنسجة السالمة عن بعد من الأنسجة المريضة كما هي الطريقة المتبعة اليوم . وقد قال هلرو بورتال ان ابا القاسم وصف قبل (امبرواز باره) ربط الاوعية . و بحث ايضاً في هذا الجزء في الولادة فأشار بقلب الجنين في الاعتلان المستعرض وذكر طريقة تفتيت الجنين ووصف الآلات اللازمة لجذبه ولتوسيع عنق الرحم وفيه مشاهدة مهمة في الحبل خارج الرحم . و بحث ايضاً في الالتهابات المتقيحة فأوصى بخزع الخراجات القريبة من المفاصل في بادئ ظهورها و باستئصال جميع الاقسام المريضة في الالتهابات العظمية وذلك خير ماتوصي به الجراحة الحديثة . و ينتهي هذا الجزء بتعداد القواعد التي يجب مراعاتها في العضد .

اما الجزء الثالث من هذا الكتاب فهو يبحث في الكسر العظمي والتجبير وخلع المفاصل ومعالجته . و ينتقد على ابي القاسم في هذا الباب ترجيحه استعمال الآلات الميكانيكية في إرجاع الخلع وتجبير العظم على الأيدي . و يتكلم في هذا الجزء عن الخلع المزمن وطرق معالجته وهو اول من اشتغل بهذا الموضوع .

هذه هي خلاصة أبحاث كتاب التصريف ومنها تنجلي للابصار منزلة ابي القاسم الرفيعة في عالم الجراحة والانقلاب العظيم الذي أحدثه (التصريف) في انحاء العالم .

قال الاستاذ بوشوت في كتابه تاريخ الطب والمذاهب الطبية (ص ٣٥٢) ما تعريبه : ان جراحة ابي القاسم التي ترجمها حديثاً لوسين لكران هي وايم الحق مبتكرة وهي اهل للمديح الكثير الذي وصفها به فبريس دكابندانتي (القائل ان ابا القاسم يعد المثل الاعلى للعلم) فاننا نشاهد فيها كثيراً من الرسوم (الى ان قال) وقد حببت بهذا الطبيب الجراحة العملية الخطيرة المندرسة من عهد بعيد . فقد استأصل سليلة الانف وعالج بحجر جهنم . واستعمل الكاويات في أمراض لم يجسر احد قبله ان

يستعملها فيها · وكان يؤثر الحديد على غيره من المعادن فعالج بالكي بالحديد تقلصات الوجه الاختلاجية المؤلمة وكان يكوي فيها خلف الصدغ او عند ملتقى الشفتين وعالج بالكي الجذام الدرني والقروح السرطانية والنزف الخ » · وجاء في خطاب الاستاذ فورغ الجراح الحالي الشهير الذي ألقاه في تشرين الثاني ١٩٢١ في الاحتفال الذي عقد احتفاءً بمرور سبعمائة سنة على جامعة مونبليه ما تعريبه : في القرن العاشر والحادي والثاني عشر وضع العرب واليهود (وكان اليهود الصلة بين العرب والفرنج) في مونبيليه أسس المعارف الطبية · وكانت مدارس الطب في الاندلس حافلة زاهرة كمدارس الطب في آسيا · وفي القرن التاسع (والصحيح الحادي عشر) ظهر في قرطبة ابو القاسم الذي أحدثت كتبه الجراحية في جامعتنا هذه أعظم تأثير يدلنا عليه استشهاد الاستاذ جي دي شولياك به اكثر من مائتي مرة » وقد ترجم القسم الجراحي من التصريف جراردي كريمونا الى اللاتينية وترجم كله الى العبرانية واللغة البروفانسالية وغيرها · وانتشر في اوربا انتشاراً هائلاً وأحدث فيها انقلاباً جديداً ودرس في اول عهده في سالرنة وغيرها من مدن ايطاليا زمناً طويلاً وحمله الى فرنسا في القرن الثالث عشر فريق من الاطباء الايطاليين الذين التجأوا اليها لاحكام سياسية ومنهم روجي دي پارمة الذي نالت مؤلفاته في الجراحة شهرة عظيمة ، وهي لم تكن في الحقيقة سوى انتحال افكار ابي القاسم في الجراحة وأعماله فيها · ولا أرى أجل برهان على ذلك من تصريح الفرد فرانكان في كتابه التنقيب عن اصول الجراحة ورقيها في فرانسا (ص ٣٢) ما تعريبه : « جدد ابو القاسم ذلك النابغة الرحب الجسور فن الجراحة عند العرب فطار ذكره في الأقطار ودخلت مؤلفاته ايطاليا فكان فيها ابو القاسم دليل الجراحين في أعمالهم وفي تصانيفهم · وما الجراحون الذين نبغوا في ايطالية بعد ابي القاسم الا نقلة ومقلدون لهذا الرجل العظيم · وقد نظر الى هؤلاء الجراحين بعين الإعجاب وعدوا مجددين للجراحة على انهم في الحقيقة لم يزيدوا على الجراحة أقل شيء جديد · بل أدخلوا فيها اختلافات كثيرة (الى ان قال) وقد أخذ من كتاب ابي القاسم روجي دي بارمه كل القواعد التي تتألف منها مصنفاته ولم يذكر مآخذها وانتحلها لنفسه فنال بذلك تلك الشهرة والمكانة العظيمة» ·

هذا هو ابو القاسم وتلك أعماله وهذه شهادات أعاظم أساتذة الطب الحديث في اوربا بفضله وعلو مكانته ، ولا أرى ان أزيد عليها الا ما قاله الاستاذ فرند الانكليزي ابو القاسم هو محيي الجراحة ومجددها» .

* * *

وبينا كان بدر ابي القاسم يتلألأ في سماء الاندلس كانت تضيء في خراسان شمس ابن سينا ذلك الشيخ الرئيس فتنير باشعتها ظلمات الافكار وتمزق بانوارها غوامض العقول .

ولد الحسين ابو علي بن عبد الله بن سينا في بخارى عام ٣٧٥ للهجرة وكان آية في الذكاء ومعجزة بقوة الادراك أتقن اللغة والأدب وهو في العاشرة من عمره . ثم درس الفلسفة العقلية والالهية والفقه والرياضيات والطب وما وراء الطبيعة ، وفاق أهل زمانه في كل هذه العلوم وهو لم يتجاوز الثاني عشرة سنة من عمره . وقد قلده الامير شمس الدولة الوزارة في همذان فتقلدها ثم عزله وحبسه لاسباب ادارية ، وكان شمس الدولة مصاباً بالقولنج فاشتد عليه الألم فطلب الشيخ واعتذر اليه فاشتغل بمعالجته ، وأقام عنده مكرماً مبجلاً . وأعيدت الوزارة اليه ثانياً وبقي فيها الى ان توفي شمس الدولة وخلفه تاج الملك فاتهم الشيخ بمكاتبة علاء الدين امير اصفهان فسجنه اربعة اشهر ثم خلى سبيله فذهب الى اصفهان وصادف فيها في مجلس العلاء ما يستحقه من الإكرام والاعزاز . وكان ابن سينا شديد القوى كلها وكان شديد الشبق كثير الوقاع والشرب فأثر ذلك في مزاجه فاعتراه مرض القولنج في اصفهان ولما اشتد به رجع الى همذان وتوفي فيها عن عمر يناهز الثالثة والخمسين سنة ٤٢٨ للهجرة . وله مؤلفات عظيمة في جميع العلوم وأشهر ما ألفه في الطب كتابه القانون ومنه نسخة في دار الكتب العربية في دمشق . وهو أشهر من نار على علم جمع فيه زبدة ما وصل اليه علم الطب عند اليونان والكلدان والفرس والهنديين وانتقد كثيراً من أقوال سلفه وزاد عليهم أشياء كثيرة . وقد لقي القانون في الشرق وفي اوربا رواجاً لم يلقه كتاب غيره . وهو يقسم الى خمسة أجزاء فالجزء الاول يبحث في النظريات الطبية وفيه ينحو منحى جالينوس وينهج منهج ارسطاطاليس . والجزء الثاني يحتوي على ثمانمائة فصل في المفردات الطبية

ومنها مواد كثيرة كان يجهلها الأقدمون · ويبحث الجزء الثالث في الامراض الموضعية من الرأس الى القدم · والرابع في الامراض التي من شأنها ان تعتري اعضاءً مختلفة كالغرغرينا والخراجات مثلاً وابن سينا اول من فرق الحميرة اي الحمى القرمزية عن الحصبة والجدري · اما الجزء الخامس من القانون فهو مختص بالصيدلة ، ولا يخفى ما كانت عليه الصيدلة عند العرب في ذلك العهد من التكامل ، ففي هذا الجزء فصول ضافية عن المركبات التي أوجدها العرب كالمعوقات والأشربة والصباغ والكحولات والربوب وغيرها من التراكيب الصيدلية · وذكر في هذا الجزء المداواة بالذهب والاحجار الكريمة مما رجع اليه فن المداواة الحالي وانتقد استعمال المسهلات القوية واوصى بتعديلها او بالاستعاضة عنها بالملينات · وكان يستعمل الفصد ويوصي به في أمراض كثيرة ويداوي السويداء بالأرجوحة · وقد أدرك المتخصصون بالامراض العقلية والعصبية فائدة المداواة بالاهتزاز في هذا العهد الأخير · اماالقسم الجراحي من القانون فليس فيه ميزة خاصة يمتاز بها · وقد لاقي القانون أعظم إقبال ورواج في عالم الطب في الأقطار والأمصار فترجم الى لغات متعددة وشرح شروحاً كثيرة وكان عليه معول التدريس في اوربا في المدارس الطبية مدة خمسمائة سنة · وكان في جانب جالينوس وأبقراط المرجع الاعلى في العالم الطبي · وقد طبع القانون لأول مرة بالعربية في روما سنة ١٥٩٣ ونقله في القرن الثاني عشر الى اللاتينية جراردي كريمونا وما جاء القرن الرابع عشر حتى أعيدت ترجمته اربع عشرة مرة · وما زال القانون حجة الأطباء وموضع الإعجاب الى أواخر القرن المنصرم فأضاع شيئاً من تلك العظمة وذلك لان الطب الحديث لم ينظر اليه من الوجهة التي نظراليه منها السلف فهو في نظره قاموس في الطب والصيدلة جمع خلاصة أبحاث اليونان والكلدان والهنود والفرس والعرب في الامراض ومعالجتها والعقاقير وخصائصها فهو كتاب جليل من حيث الجمع والاستيعاب ولكنه دون الملكي والتصريف من حيث التجدد والابتكار · غير ان هذا الحكم لا يمس عظمة ابن سينا ومقدرته العلمية فهو لم يزل لدى المتأخرين كما كان عند المتقدمين ، نابغة في الذكاء ، بحراً في العلوم ، أشبه به بمعلمة (دائرة المعارف) حية تكاثفت فيها علوم الأقدمين من الفلسفة

والالهيات واللغة والادب والفقه والكيمياء والحكمة والرياضيات والفلك والموسيقى والطب مما لم يشاهد في انسان غيره . وقد صنف في كل هذه العلوم وأجاد وكتبه تربو على المئة . قال الاستاذ بوشوت في تاريخ الطب والمذاهب الطبية (ص ٣٤٩) مهما كثرت الأقوال (في ابن سينا) فهنالك صوت عال تصمت أمامه انتقادات المؤرخين ألا وهو صوت عظمة ابن سينا وتأثير مؤلفاته . (الى ان قال) ومؤلفاته (الأصح مؤلفه) المدعوة بالقانون ظلت بحق القانون والدستور الطبي في آسيا واوربا مئات من السنين . وقد بلغ الاعجاب بهذا المؤلف في اوربا بحيث اقتصر معها اساتذة الطب في الجامعات على قراءة متنه وشرحه . فكان جرنر دي رولفنك يشرحه في جنوة في القرن الثامن عشر وكذلك في لوفن من مدن البلجيك وكان قد طبع شرحه فيها بلبوس عام ١٦٥٨ . وظل التدريس على هذه الصورة في مونبيلية زمناً طويلاً .

* * *

وبينا نشاهد الطب الحديث ينازع ابن سينا لقب المجدد ، نراه يجود بهذا اللقب على ابي مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر . أعظم طبيب عربي فاق من تقدمه من الوجهة العملية واكبر مجدد في فن الطب نزع عنه ما خلق من النظريات التي لم تؤيدها المشاهدات ولم تسندها التجارب . فكان يسير الى جنب ارسطاطاليس كلما جمع ما بينهما العلم والعمل ويفترق عنه كلما خالفت التجارب نظرياته ، ومما ساعده على النبوغ في الطب عدم اشتغاله بغيره من العلوم كمعاصريه من الاطباء . ولد عبدالملك ابن زهر في اشبيلية في الاندلس من أسرة جل أفرادها اطباء ، فقد كان جده مروان بن زهر ووالده ابو العلاء بن زهر من خيرة الاطباء المشهورين بالحذق والمعرفة . وكذلك ولده الحفيد وأحفاده فقد كان لهم منزلة رفيعة في الطب والمداواة كما ان ابنته وحفيدته كانتا عالمتين بصناعة الطب والقبالة ومداواة النساء وكانتا تدخلان الى نساء المنصور ولا يقبل للمنصور واهله ولداً الا هن . وكان ابو مروان جيد الاستقصاء في الادوية المفردة والمركبة حسن المعالجة . شاع ذكره في الاندلس واوربا واشتغل الاطباء بمصنفاته . ولم يكن في زمانه من يماثله بالجراحة فقد كان

يفصد مرضاه بيده ، ويجري جميع العمليات الجراحيـة ماعدا خزع الحصاة عند المرأة ، فقد كان يمنع منهـا المانع أدبي . واختص عبد المؤمن امير المؤمنين ابن زهر لنفسه وجعل اعتماده عليه في الطب وأناله من الأنعام والعطاء فوق أمنيته وكان مكيناً عنده عالي القدر وألف له الترياق السبعيني وتوفي سنة خمسمائة ونيف ودفن في اشبيلية وقد اشتغل عليه في الطب كثيرون . وكان من أجل تلاميذه في صناعة الطب والآخذين عنه ابو حسين ابن اسدون المشهور بالمصدوم وابو بكر بن الفقيه القاضي ابي الحسن قاضي اشبيليـة وابو محمد الشذري وابو عمران ابن ابي عمران (طبقات الاطباء ج ٢ : ٦٧) ولاصحة لما قاله بعضهم من ان ابن رشد كان من تلاميذه كما سنبينه فيما يأتي .

ومن أجلّ كتبه في الطب كتاب التيسير في المداواة والتـدبير ألفه للقاضي ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد وكان قـد سأله ذلك ابن رشد ليكون متمماً لكتابه الكليـات ولم يعثر على سواه من كتبه وهو كتاب عملي سهل المأخذ بصورة كناش بخلاف الملكي والقانون اللذين امتازا بصفتها العلميـة المدرسية . وقد درس فيه ابو مروان الأمراض بالتتابع من الرأس الى القدم ، ووصف الأعراض الداخلة على كل عضو من الاعضاء بمفرده عرضاً عرضاً ، ومعالجة كل منهـا وطرق تركيب الادوية بصورة ممتازة من الأقاويل الجزئية ذات المكانة الكبرى في فن الطب . وحمل ابن زهر حملات عنيفـة على الدجالين والمنجمين الذين شوّهوا وجه الطب بالخرافات والتدجيل . وكان لابن زهر وقوف تام على التشريح لا سيما الهيكل العظمي وكان يتردد الى المقابر يدرس فيهـا العظام . ومن المشاهدات الخاصة بابن زهر مشاهداته في الفلج والكنة وأمراض الجهـاز الهضمي وخراجة غلاف القلب وذات غلاف القلب وغيرها . ومن مبتكراته استعماله أنبوبة مجوّفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعماله الحقن المغـذية في المستقيم وكان من قبله يجهلون ذلك ويستعملون مغاطس الحليب للمصابين بهذه العلة وقد انتقد هذه الطريقة بصورة حقة . وقد نبذ استعمال المسهلات الشديدة وكان يستعيض عنها بالملينات . وكانت له مهارة تامة في تشخيص الكسور وتجبيرها وقد أجرى كثيراً من العمليات الخطيرة كخزع

القصبة . وهو اول من لفت النظر الى إمكان ايجاد خواص في النبات غير موجودة فيه كاعطاء العنب خاصة الاسهال وذلك بسقي كرمته بماء مزيج بأدوية مسهلة مما أحدث في علم خواص النبات تجديداً محسوساً . وابلى ابو مروان ابن زهر بلاءً حسناً في تجديد فن المداواة ونشر التدبير البسيط في معالجة الأمراض بدل التدبير المشوش بالمفردات الكثيرة والتراكيب المتعددة .

وأصيب ابن زهر بخراجة في حيز المثلث الصدري ووصف هذا المرض في كتابه وهي اول مشاهدة عثر عليها الطب في ذلك . قال الاستاذ بوشوت في تاريخ الطب (ص ٣٥٥) اشتغل ابن زهر زمناً طويلاً بالجهاز العظمي حتى تمكن من معالجة الكسر والخلع معالجة دقيقة . وقد أجرى مراراً فتح الميت مما ساعده على وصف التشريح المرضي في خراجة حيز مثلث الصدر . وذات غلاف القلب واستسقاء غلاف القلب والالتصاقات الليفية القلبية التي يدعيها الزوائد القلبية . وعني بعسر البلع وأوصى باستعمال الحقن المغذية في المستقيم » .

وقال فرند : « يوجد لابن زهر ملاحظات في حس العظم والاسنان مما هو مختلف فيه حتى اليوم . وله مشاهدات في السل الناتج عن القرحة المعدية وفي الاختناق الحاصل من فلج الرئي وأخيراً في الخباج اي التقيب المنشاري والحصى البولية وغيرها » . ونزيد على ذلك ما قاله الاستاذ جيار في جامعة ليون في بحثه عن الجرب في كتابه الطفيليات (ص ٥٠١) ما تعريبه : والذي وصف الجرب هم الاطباء العرب فقد أثبتوا انه مرض سارٍ يظهر غالباً بين الأصابع ويظهر ان ابن زهر في القرن الثاني عشر هو الذي اكتشف طفيليته ويسميها صؤابة الجرب » . واذا نظرنا الى هذا الاكتشاف المهم وأضفنا اليه ما عددناه من أعمال ابي مروان ابن زهر يتجلى لنا في شخصه الطبيب المجرب المجدد في أجل مظاهره وأكمل أوصافه .

* * *

وكان معاصراً لعبد الملك بن زهر القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد المشهور بابن رشد فيلسوف العرب واحد تلك الاسماء العظيمة التي تفتخر بها مملكة الاندلس . كان واحداً في علم الفقه والخلاف وامتاز بالفلسفة والطب وكان في

الاولى أنبغ منه في الطب وكان بينه وبين ابي مروان ابن زهر مودة . ولما ألف كتابه الكليات الذي سيأتي ذكره وهو في الامور الكلية قصد من ابن زهر ان يؤلف كتاباً في الامور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة الطب ولهذا يقول ابن رشد في آخر كتابه ما هذا نصه : « فمن أحب ان ينظر بعد ذلك (اي بعد درس كتابه) في الكنانيش فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه في زماننا هذا ابو مروان ابن زهر وهذا الكتاب سألته انا اياه وانتسخته فكان ذلك سبيلاً الى خروجه (الى ان يقول) ولا حاجة الى من يقرأ كتابنا هذا الى ذلك » . (طبقات الاطباء ج ٢ : ٧٥) ومن هذا يتضح ان ابن رشد لم يكن تلميذاً لابن زهر كما جاء في المعلمة الفرنسية الكبيرة التي أخطأت في تراجم كثير من أطباء العرب وفي الكتب التي أخذت عنها كمعلمة البستاني وغيرها بل كان بينهما مودة . وان ابن رشد ألف في الطب قبل ان يكتب فيه ابن زهر وانه كان ينظر الى تيسير ابن زهر نظره الى كناش متمم لكتابه الكليات قد يستغنى عنه . ولد ابن رشد في قرطبة في أوائل القرن السادس للهجرة ونشأ فيها وولي القضاء في اشبيلية ثم في قرطبة وكان مكيناً عند المنصور وجيهاً في دولته ، ثم ان المنصور نقم عليه ونفاه الى اليسانة لاحقاد شخصية ثم رضي عنه فعاد الى قرطبة . وقد أخذ الطب عن ابن باجه وعن ابي جعفر بن هرون (طبقات الاطباء ج ٢ : ٧٣) وقطع فيه شوطاً بعيداً وله مؤلفات جليلة في الفلسفة والطب أشهرها في الطب الكليات وهو كتاب جامع كامل وينقسم الى سبعة أجزاء الاول منها في التشريح وكان ابن رشد يهتم به كثيراً ويرغب فيه ، ومن كلامه في ذلك من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله . والثاني في الصحة والثالث في الادواء والرابع في مداواة الأمراض والخامس في الادوية والاطعمة والسادس في حفظ الصحة والسابع في التداوي . ولابن رشد بحث خطير في مراكز القوى العقلية في الدماغ وقد ترجم الحاوي في القرن الثالث عشر ارمانجو احد أساتذة جامع مونبيلية ودرس فيها وطبع لاول مرة في البندقية سنة ١٤٨٢ م وانتشر في مدارس الطب في اوربا جمعاء . وتوفي ابن رشد في مراكش سنة ٥٩٥ للهجرة .

يضطرني البحث الى عقد جلسات متوالية فيما اذا أردت ان استقصي ذكر كل من اشتهر في الطب عند العرب وذلك لا يتسع له المجال ، ولا تساعد عليه الاحوال ، غير انه يعزّ عليّ ان أمرّ بهذا الجمع الغفير من اولئك الأساتذة العظام الذين رفعوا لواء العلم على عامة قلل العالم دون ان أُحيي أعاظم قوادهم . وليت شعري من منهم غير قائد لجيش صحي عام . ولما كان الضيف أولى بالاكرام ، أُرحب باديءً بدءٍ بالفارابي نزيل دمشق المتوفى عام ٣٣٩ للهجرة ومنزلته في الفلسفة والطب والرياضيات والموسيقى اسمى من ان توصف ، ونصافح معه البيروني صاحب التآليف في التاريخ الطبيعي التي منها كتاب الجماهر في الجواهر والآثار الباقيــة عن القرون الخالية وكتاب الصيدلة في الطب الذي استقصى فيه معرفة ماهيات الادوية ومعرفة اسمائها . ونحيي بعده سنان ابن ثابت الصابي طبيب المقتدر بالله والقــاهر ورئيس الدواوين والمستشفيات في بغداد وواضع المعاهد الصحية الواسعة فقد أفرد في زمانه للسجون أطباء يدخلون اليها في كل يوم يحملون الأدوية والاشربة ويطوفون السجون يعالجون فيها المرضى . وأنفذ الأطباء السيارين مصحوبين بخزائن الأدوية والأشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل ناحية منه بقدر ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى . وكان يشرف على المستشفيات ويراقب الأعمال والعمال فيها . وفي سنة ٣٠٦ فتح بيمارستان السيدة وجلس فيه ورتب الأطباء وقبل المرضى وكانت النفقة عليه ستمائة دينار في الشهر . وفي هذه السنة ايضاً تشبث لدى المقتدر بالله فأنشأ البيمارستان المقتدري وكان ينفق عليه من ماله كل شهر مائتي دينار . ودعا جميع المتطببين في بغداد الى الامتحان ولم يجز الا من ثبتت لديه مقدرته . وقد بلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة وستين طبيباً سوى من استغنى عن الفحص باشتهاره ومن كان في خدمة السلطان مما ينطق بانتظام الادارة الصحية في ذلك العهد ويدل على فرط اعتناء الامة بامر صحتها وحرمتها لهذا العلم الجليل من خصائص الحضارة الرفيعة .

وممن يجب الاحتفاء بهم صاعد بن بشر ابو منصور البغدادي الذي قلب فن المداواة القديم وخالف مسطور الأقدمين فدبر اكثر الامراض التي كانت تعالج بالأدوية الحارة بالتدبير المبرد . فهو اول من داوى السكتة الصدرية والدماغية

والاحتقانات وغيرها بالفصد والمبردات وكانوا قبله يداوونها بالوسائط والأدوية الحارة مما يسجل له بقلم الفخر .

ومنهم ابو الفرج ابن الطيب وكانت له مقدرة قوية على التصنيف ، وهو اول من صنف في الطب بصورة جداول عمومية . وامين الدولة بن التلميذ وكان رئيس الطب في بغداد وعهد اليه بامتحان الاطباء فيها . وله مؤلفات كثيرة في الطب منها اقرباذينه الذي عزل اقرباذين سابور بن سهل المنوه به سابقاً . ومنهم اسحق بن سليمان صاحب كتابي الحميات والبول نقلها قسطنطين الافريقي الى اللاتينية . ودرسا في سالرنة ثم في اوربا وكان لها رواج عظيم . ومنهم ابن ابي أصيبعة صاحب طبقات الاطباء .

ومنهم اسحق بن عمران الذي أدخل الطب الى المغرب . وابن الجزار صاحب زاد المسافر وهو من أجلّ ما كتب في الطب نقله قسطنطين الافريقي الى اللاتينية وانتحله لنفسه باسم فياتيكوم ودرس في سالرنة ثم في جامعات اوربا . وابن جلجل الذي فسر اسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس . وأفصح عن مكنوناتها واوضح مستغلق مضمونها وهو صاحب كتاب ما فات ديسقوريدس من الادوية الحديثة التي كانت مجهولة عند الأقدمين ، وقد ترجم الى اللاتينية وكان له شأن في جامعات الطب في اوربا .

وابن وافد صاحب المذهب الطبي الخاص القائل بعدم التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية او ما كان قريباً منها ، فاذا دعت الضرورة الى الأدوية فلا يرى التداوي بمركبها ماوصل الى التداوي بمفردها ، فان اضطر الى المركب منها لم يكثر التركيب بل يقتصر على أقل ما يمكنه منه وذلك خير ما وصل اليه الطب الحديث في العهد الاخير . وبالنظر لوفرة أمراض العيون نجب في هذا الفرع من الطب كثير من الإخصائيين به لاسيما في مصر . منهم عيسى بن علي الكحال صاحب تذكرة الكحالين وهي ثلاث مقالات الاولى في وصف العين والثانية في أمراض العين المحسوسة والثالثة في أمراض العين غير المحسوسة كقصر البصر وغيره .

* * *

اما علم النبات فهو يسجل في أعلى صفحاته باحرف ذهبية ثلاثة أسماء عظام خلد التاريخ ذكرهم . اولهم رشيد الدين الصوري النباتي الكبير ، ولد في صور سنة ٥٧٣ ونشأ فيها وتولى رئاسة الطب في دمشق ايام الملك الناصر داوود بن الملك المعظم وكان له مجلس للطب حافل بالطلبة وله من الكتب كتاب الادوية المفردة ذكر فيه أدوية كثيرة كانت مجهولة عند سلفه وكان يتوجه مستصحباً مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها الى المواضع التي فيها النبات كلبنان وغيره ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه واصوله ويصور بجسبها . وكان يصور النبات الواحد إبان نباته وطراوته ويصوره ثانياً وقت كماله وظهور بذوره ثم يصوره وقت ذويه ويبسه مما لم يسبقه احد الى ذلك . وهذا الكتاب النفيس المفرد في بابه موجود اليوم في المكتبة الشاهية الخاصة في طهران . ثم جاء من بعده ابوالعباس ابن رومية الاشبيلي وقد فقدت كتبه الاصلية . ثم ظهر تلميذه ابن البيطار ضياء الدين ابن احمد المالقي النباتي . أوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها . ولد في القرن الثالث عشر للميلاد في اشبيلية وسافر الى بلاد الروم ويونان والمغرب في طلب علم النبات ثم توطن مصر وكان مقرباً من الملك الكامل وولاه رئاسة العشابين واصحاب البسطات ولم يزل فيها حتى توفي عام ٦٤٦ وأشهر كتبه الجامع في الادوية المفردة صنفه للملك الصالح نجم الدين ايوب وقد استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه . وليس في الادوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه . وهو مرتب على الأحرف الهجائية يبحث في الأدوية النباتية والمعدنية والعضوية وفيه الف وثلاثمائة فصل منها ما يربو على ثلاثمائة فصل تبحث في مفردات طبية مجهولة عند الأقدمين ، ومنها الفوفل والكافور والزباد وحشيشة الملوك والقرنفل والعناب والمسك والمن والليمون البصري وجوز الهند وجوز القي والفلفل والراوند والصندل والسنا والسكر والتمرهندي الى آخر ما هنالك من الادوية المفردة التي أدخلتها العرب في الطب . وقد كان لهذا الكتاب في عواصم العالم منزلة عظمى ضؤلت أمامها مؤلفات ديقوريدس .

وبالنظر لضيق الوقت استميح العفو من ذكر بقية اولئك الاساتذة الكثيرين مدم تعطير هذا المجلس بذكر اسمائهم .

ومن وفرة عدد اولئك العلماء الاطباء تجلى لنا عظمة تلك المملكة الشاسعة ومدنيتها وليت شعري هل ينبت العلم الا حيث يحرس السيف و يرف العدل وتشرق الحرية ؟ ويتجسم للعيون ما كان فيه الطب في ذلك العهد من الرقي وما كانت عليه دواوين الصحة من الانتظام . فما من بلد الا وكان فيه مستشفيات متعددة ومدارس طب حافلة . وكان للأطباء نظام ورئيس وللصيادلة قانون ورقيب . وكان من الأطباء فريق خاص بالجند وآخر بالمستشفيات وطائفة بالسجون . ومنهم الخاص بالخلفاء والامراء المنقطع لمداواة العامة . والكل في سعة وهناء من العيش وكان الاختصاص والاخصاء في الطب شائعين كما في هذا العهد . فكنت ترى الطبيب والجراح والفاصد والكحال والمختص بالأمراض العقلية والعصبية كل يعمل في دائرة اختصاصه وكانت المستشفيات مؤلفة من غرف منها ما هو خاص بالامراض الداخلية وما هو خاص بالجراحة او بالنساء او بالعيون الخ ، وكانوا يسجلون مشاهداتهم وقد وصلنا منها تجارب المارستان للرازي . قال الدكتور غستاف لبون في حضارة العرب : ان مستشفيات العرب كانت من الوجهة الصحية أفضل من مستشفيات الاوربيين اليوم بسعتها وجمال موقعها ونظافتها وكثرة مياهها وانطلاق الهواء في أطرافها . وقال ايضاً ان أطباء العرب في القرن العاشر للميلاد لم يفقدوا من مرضاهم اكثر مما يفقده اطباؤنا الحاليون .

ولم تكتف العرب بهذه الأعمال الاولية بل جنحوا الى التكامل مدفوعين بعامل الارتقاء الطبيعي فبنوا دوراً لتجريد المجذومين . واول من فعل ذلك الوليد الأموي سنة ثمان وثمانين . وأنشأ المنصور العباسي داراً للعميان والأيتام والقواعد من النساء ، كما هو حال دور العجزة في الممالك المتمدنة اليوم ، ودوراً لمعالجة المجانين وغيرها من دور الصحة والاسعاف العام التي تبكي عليها دمشق بل جزيرة العرب باجمعها في القرن العشرين . وكانوا يدعون مستشفياتهم باسماء مؤسسيها والمحسنين اليها فيقولون المستشفى العضدي نسبة الى عضد الدولة والمستشفى النوري نسبة الى نور الدين كما ان الغربيين اليوم ينسبون معاهدهم الصحية وغرف مستشفياتهم الى مؤسسيها او النابغين

منهم فيقولون معمل باستور وقاعة ديولافوا وغرفة لاينك الى غير ذلك مما يخلد في نفوس الأمة ذكر أعاظم رجالها و يبعث فيها روح النهضة والاقتداء بهم . و يا حبذا لو أتيح لدمشق بل لعامة الأمصار العربية التي الفت بنيها يخلدون على ظهرها اسم الغريب والأعجمي ان تشاهد يوماً غرف مستشفياتها تنسب الى أعاظم من نبغ في الطب عند العرب فيقال غرفة الرازي بدلاً من قاعة الداخليـة وغرفة ابن سينا بدلاً من الغرفة الثانية وردهة ابن زهر بدلاً من ردهة الخارجيـة ودار ابي القاسم بدلاً من دار العمليات الجراحية الى غير ذلك من شعائر الأمم الحية المتمدنة .

ومن هذه الصورة المصغرة لذلك الهيكل العظيم يتضح لنا كل الوضوح ما أوردناه في صدر كلامنا من ان العرب لم يكونوا واسطة نقل صماء بين الأقدمين والمتأخرين، بل كانوا أمة عاملة حية ، عريقة في الأصل والعلم ذات تاريخ مجيد ومدنية رفيعة خاصة . يتجلى الإقدام الذاتي ، والإبداع الفكري ، والإعتماد على النفس ، في جميع علومهم وأعمالهم . أحيوا العلم اليوناني القديم بإجهاد النفس وعرق الجبين ، وجمعوه كما يجمع الصائغ ذرات الذهب المبعثرة في التراب تحت الأقدام فنخلوه وسبكوه ، وأضافوا اليه خبرة معارف الهنديين والكلدان والفرس ، ثم صاغوا منه عقداً حلوه بجواهر من مبتكرات عقولهم ، ولما لم يفسح الاجل في حياتهم القصيرة تركوه لاوربا الغـارقة اذ ذاك في ليل الويل من الجهل والهمجية . فتحلت به صدورها خمسمائة سنة دون ان تمد اليه يداً . الى ان قيض الله لها باستور وزملاءه في القرن الاخير فصاغوا من هذا العقد اكليلاً مرصعاً تتوج به رأس الطب المكشوف في جميع أنحاء العالم .

واذ كان لا يصدق القول حتى يشهد شاهد من اهله ، وكثير أولئك الشهود ، فلنصغ الى الدكتور غستاف لبون في كتابه حضارة العرب فهو يقول : « وسنحاول الآن اثبات تأثير الحضارة العربية في الغرب وان اوربا مدينة بتمدنها اليهم .... فاذا رجعنا الى القرن التاسع والعاشر من تاريخنا حينما كانت الحضارة الاسلامية في الاندلس تتلألأ باجمل الانوار نشاهد المراكز المتعلمة الوحيدة في اوربا منحصرة في بروج يقطنهـا سادة متوحشون يتباهون بجهلهم القراءة والكتابة .... وكانت الهمجية في اوربا متكاثفة بحيث كان يتعذر عليها معها ان تشعر بهمجيتها . واستمر

ذلك حتى القرن الحادي عشر وبعبارة ثانية حتى الثاني عشر اذ لاحت فيه بارقة علم ضئيلة . ثم لما شعرت بعض العقول المستنيرة بالاحتياج المبرم الى تمزيق كفن الجهل الملتفة به اتجهت نحو العرب أساتذة العلم في ذلك العصر .

(الى ان يقول) ولا يتأتى لنا حتى القرن الخامس عشر ان نذكر مؤلفاً لم يكن ناسخاً عن العرب فان روجي باكون وليونار دي بيز وارمان دي فيلنوف وريموندلول والقديس توما والبيرتو الكبير والفونس العاشر دي كاستيل وغيرهم كانوا تلاميذ العرب او مقلديهم . وقد بقيت الكتب المترجمة عن العربية ولا سيما الطبية أساس التعليم في كل جامعات اوربا مدة خمسمائة او ستمائة سنة ، ولا يمكننا ان نقول ان التأثير العربي امتد حتى ايامنا الأخيرة فان كتب ابن سينا مازالت تدرس في جامعة مونبيلية الى خاتمة العصر الاخير » .

***

أتى القرن الثالث عشر فانقض المغول على بغداد فقوضوا ذاك العمران ومحوا تلك الحضارة ، وأغرقوا في دجلة ثمار تلك العقول حتى اختنقت حزناً عليها ، فباتت تلك الرياض العلمية الزاهرة قاعاً صفصفاً خاوية على عروشها . ثم قامت الحروب الصليبية في الشام فاستحالت تلك الثورة العلمية المدنية الى نفير عام وحرب ضروس همجية .

وانقدت الفتن والحروب في صقلية والاندلس فأحرقت بنيرانها تلك الحضارة الزاهرة والمكاتب العامرة والسلطنة العظيمة الباهرة . فباتت تلك الممالك العظيمة الشاسعة مظلمة بعد النور ، خاوية بعد العمران ، مجدبة بعد الخصب ، ينعق في أرجائها غراب الجهل ، و ينعب في أطلالها بوم النحس والهوان .

الى ان جاءت السنة العشرون من القرن العشرين فلاح لعين التائه الظمآن في دمشق على أطلال البرامكة العظام شبح كوخ حقير ، تقصف من حوله الرياح وتتساقط من فوقه الصواعق ، أشبه به ببيت شعر صغير ، رفع على أنقاض ذلك البرج الهائل ، يدعى : المعهد الطبي العربي . فانتعش التائه واستبشر . ثم وجف . ثم تلهف .... فليت شعري هل تسمح الايام وتغمض عين الدهر حيناً من الزمن فتسكن تلك العواصف وتهدأ تلك الرياح فتنمو ذاك البناء وبصبح جامعة عربية كبرى

يحيي ذكرى اولئك الرجال العظام فتنتعش في السماء أرواحهم ، وتنبعث من التراب أجسامهم ، عمل عظيم يحققه السعي والدؤوب ، والله المستعان ·

عضو المجمع العلمي
الدكتور اسعد الحكيم

مغارة ام السرج

لا أغادر في سياحاتي البحث عن الآثار القديمة والمشاهد الطبيعية · وذلك توصلاً لاكتناه غوامض التاريخ والجغرافيا اللذين لايزال كثير من أوابدهما في بلادنا محتاجاً للتحقيق · وبينما كنت أتجول في قضاء منبج « شمالي شرقي حلب » خلال شهر تموز ١٩٢٦ ذكر لي ان هنالك مغاور تخلب الالباب بعظمتها ودقة صنعها وغرابة منظرها · ولما كنت قد زرت في القسطنطينية مغارة (كوچك چكمجه) احدى محطات سكة حديد الروملي ورأيت ما حوته من الآثار الجيولوجية البديعة أملت ان أشاهد ما يشبهها في المغاور التي ذكرت لي فأسرعت الى زيارتها · وهي تبعد عن منبج نحو ١٤ كيلومتراً الى الجنوب وعن حلب ٨٨ كيلومتراً الى الشرق ·

استصحبت من القرية القريبة للمغاور واسمها « مقبلة حسن اغا » أدلاء ومصابيح · فسرنا نرتقي جبلاً مستطيل الشكل يمتد من الغرب الى الشرق · وبعد ان سرنا نصف ساعة وصلنا الى ذروته فأشرفنا على ما حوله من السهول الشاسعة · رأينا في شرقنا « الفرات » ينساب عن بعد حاملاً مياه بلاد الترك والكرد الى ثغور العراق والخليج الفارسي وفي شمالنا بلدة « منبج » تندب مجدها القديم وحولها هضبات متسلسلة حتى نهر « الساجور » احد فروع الفرات وماوراءه من تخوم تركيا الحديثة · وشاهدنا في الغرب قريتي تاذف و بزاعة الشهيرتين في تاريخ الاسرائيليين والصليبيين وقد علتهما أكمة قام فوقها مسجد ذو مأذنة عالية باسم احد الصلحاء المسمى « الشيخ عقيل » · ورمقنا في الجنوب براري وفيافي تضيع بعد حين في الأفق الغارب في بادية الشام ·

يحيي ذكري اولئك الرجال العظام فتنتعش في السماء أرواحهم ، وتنبعث من التراب أجسامهم ، عمل عظيم يحققه السعي والدؤوب ، والله المستعان ٠

عضو المجمع العلمي

الدكتور اسعد الحكيم

مغارة ام السرج

لا أغادر في سياحاتي البحث عن الآثار القديمة والمشاهد الطبيعية ٠ وذلك توصلاً لاكتناه غوامض التاريخ والجغرافيا اللذين لايزال كثير من أوابدهما في بلادنا محتاجاً للتحقيق ٠ وبينما كنت أتجول في قضاء منبج « شمالي شرقي حلب » خلال شهر تموز ١٩٢٦ ذكر لي ان هنالك مغاور تخلب الالباب بعظمتها ودقة صنعها وغرابة منظرها ٠ ولما كنت قد زرت في القسطنطينية مغارة (كوچك چكمجه) احدى محطات سكة حديد الروميللي ورأيت ما حوته من الآثار الجيولوجية البديعة أملت ان أشاهد ما يشبهها في المغاور التي ذكرت لي فأسرعت الى زيارتها ٠ وهي تبعد عن منبج نحو ١٤ كيلومتراً الى الجنوب وعن حلب ٨٨ كيلومتراً الى الشرق ٠

استصحبت من القرية القريبة للمغاور واسمها « مقبلة حسن اغا » أدلاء ومصابيح ٠ فسرنا نرتقي جبلاً مستطيل الشكل يمتد من الغرب الى الشرق ٠ وبعد ان سرنا نصف ساعة وصلنا الى ذروته فأشرفنا على ما حوله من السهول الشاسعة ٠ رأينا في شرقنا « الفرات » ينساب عن بعد حاملاً مياه بلاد الترك والكرد الى ثغور العراق والخليج الفارسي وفي شمالنا بلدة « منبج » تندب مجدها القديم وحولها هضبات متسلسلة حتى نهر « الساجور » احد فروع الفرات وماوراءه من تخوم تركيا الحديثة ٠ وشاهدنا في الغرب قريتي تاذف و بزاعة الشهيرتين في تاريخ الاسرائيليين والصليبيين وقد علتهما أكمة قام فوقها مسجد ذو مأذنة عالية باسم احد الصلحاء المسمى « الشيخ عقيل » ٠ ورمقنا في الجنوب براري وفيافي تضيع بعد حين في الأفق الغارب في بادية الشام ٠

في ذروة هذا الجبل المطل على تلك المناظر الجميلة والمحفوفة بذكريات عريقة في قدم التاريخ استقبلنا شقاً كثير الطول والعرض ، قد نقر في الصخر كما تنقر أخاديد السكك الحديدية في ايامنا ، وجعل على ما يظهر منفذاً لما بعده تقف فيه الحراس ، وتحول دون تخطي الغرباء منه ، فبعد ان عبرنا الشق دون عائق انتهينا الى وسط ساحة فسيحة تحيط بها جدران عالية من الصخر الابيض ، نُقرت فيها كهوف منتظمة بعضها بجانب بعض ، وهي تشبه باصطفافها حوانيت الأسواق في المدن ، وربما كانت خاصة بشراء الحاجات وبيعها من سكان المغاور التي نحن بصددها . وبعد ان اجتزنا الساحة أشرفنا على أعظم المغارات وأجلها شأناً وهي المسماة « مغارة أُم السرج » . سميت بذلك لان شدة ظلامها تجعل استعمال السرج فيها لازمة . وفوهة هذه المغارة واسعة بقطر خمسة عشر متراً ملئت جلاميد الصخور المتكسرة والمتدحرجة من سقف الفوهة وقمة الجبل . وقد تشعث بذلك باب المغارة وردم درجها بأمره فأصبح النازل محتاجاً للزحف على أليتيه تارة والاستمساك بهذا وذاك من الاحجار تارةً أُخرى .

انحدرنا من الفوهة على النحو الذي ذكرته مقدار خمسين متراً الى أن وصلنا الى مستوى المغارة حيث قل النور وأرخى الظلام سدوله . فأضاء الادلاء المصابيح وساروا أمامنا وتبعناهم نتوكأ على العصي التي حملناها ونلمس الجدران بايدينا وأخذنا نجتاز مضايق ومعاطف ونجتاز مخارم وفجاجاً ونصادف أقباءً عظيمة وأبهاءً وسيعة . وكل ذلك محفور في الصخر وآثار الحفر ونقر الامشاط والمطارق والأزاميل بارزة تكاد تظن ان الحجارين والنحاتين قد انتهوا من اعمالهم وخرجوا في تلك الساعة . وتجد في وسط الجدران كلها كوات صغيرة بعضها فوق بعض تمتد من الارض الى السقف ، وهي تشبه ما يعمل في جدران الآبار لوضع الارجل اثناء الصعود والنزول اليها وتجد في محلات عديدة ايضاً كوات اكبر منها لوضع السرج او المصابيح ولا تزال آثار الدخان ظاهرة فيها حتى الآن .

وقد وجدت سعة كل بهو لا تقل عن استيعاب مائتي شخص او اكثر ، كانوا يجتمعون فيها على ما يظهر لاستماع الخطب او العظات الدينية او المداولة في امور مهمة . ذلك لان بعض الابهاء يحوي في صدره مقاعد ومصاطب منقورة في الجدار جعلت

الجلوس علية القوم ، وفوق الجميع مقعد كالأريكة كان خاصاً بالقـائد او الكاهن لاكبر في الغالب ٠

وقد تذكرت وانا أجوز خلال تلك الدهاليز والغيران حالة السائحين اللذين وصفها الروائي الافرنسي الشهير (جول فرن) في احدي رواياته العلمية المسماة « رحلة تحت الارض » ٠ فقد دخل السائحان كهفاً في جبال الالب وظلا يسيران في احشاء الارض و يجتازان أجوافها وسراديبها المظلمة و يشاهدان عجائب تكون طبقات الارض وأدوارها الجيولوجية الاربعـة ، وما حوته أحافير النباتات والحيوانات ، وأجنـاس الصخور والمعادن الى ان قذفتها المقادير — بخارقةٍ لا تسعها الا مخيلة الروائيين — من فوهة بركان جزيرة اسلاندة في اقصى الشمال الغربي من قارة اوربا ٠ وما كان قصد (جول فرن) من هذه الرواية الا حمل مطالعيها على تفهم دقائق علم الجيولوجية بهذا الاسلوب اللطيف ٠ شأنه في سائر رواياته التي يبحث في كل منها في احد العلوم الطبيعية ٠

ولما بلغ منا التعب والظمأ مبلغه وتمنينا جرعة من الماء صادفنا في احد الاقبـاء بئرين ملآنين ماءً عذباً بارداً ، شربنا منها وغسلنـا الأوجه والأيدي واسترحنا برهة ٠ وقد حاولنا ان نسبر غورهما فلم نوفق لوفرة عمقهما ٠ وهذان البئران من اعجب مايذكر عن هذه المغارة ٠ ولولاهما لما استطاع حافروها وساكنوها العمل والمقام فيها ٠

هذا وقد بقينا نحو ساعتين في ذلك الظلام القاتم ندخل في بهو ونخرج من قبو ونصعد درجاً ونجتاز سرداباً ، ولا يستطيع احدنا ان يبتعد عن دليله او رفيقه خشية الضياع والهلاك ٠ ونحن في أشد الحيرة من عمل اولئك الذين بذلوا الهمم الشماء في نقر هذه الصخور الصماء وتمهيدها وتقسيمها على هذا النحو في أحشاء هذا الجبل الشامخ وتحت عمق لا يقل عن ٧٠ — ٨٠ متراً وطول وعرض هائلين لا مجال لتقديرهما ٠ فكم فرقة من فرق العمال عملت في الحفر وكم الوف من الدنانير أنفقوها في هذه السبيل ؟ ذلك ما كنت افتكر به ولا اصل الى حله ٠

ومن الغريب انني رغم التحقيق والتفتيش في الجدران والسقوف لم اعثر على اثر لكتابة او نقش او رسم لاستدل منه على سبب حفر هذه المغـارة الهائلة وتاريخهـا

واسم ساكنيها وحافريها الاقدمين · ولا على شيء من العلائم الجيولوجيه كأحافير النباتات والحيوانات واعمدة الستلاكتيت والستلاكميت التي توجد عادة في اشباه هذه الكهوف — اذا كانت طبيعية — ولم أجد معنىً لدفن هؤلاء الناس انفسهم في هذه الهوة السحيقة ومكوثهم في هذه الاقباء والغيران المدلهمة الرطبة · الا ان يكون ذلك لغرض ديني او سياسي ، فهم اما كانوا يستعملونها كمعبد خفي يقيمون فيه شعائر ديانتهم السرية بدليل وجود المصاطب والارائك التي ذكرتها · واما انهم كانوا يتخذونها حصناً يلجؤون اليه عند إحاطة الاعداء بمدينتهم التي يشاهد بعض طلولها خارج المغارة وعلى السفح الجنوبي للجبل · او انهم كانوا يسجنون فيها من غضبت عليه ملوكهم او كهانهم او وقع اثناء الحروب في قبضتهم فيعتقلون السجناء او الاسرى في هذه الظلمة والرطوبة اللتين تهدمان اشد الابدان قوة وصحة ·

ولم تحرم هذه المغارة العجيبة من سكنى الاحياء والاستئناس بهم · فقد كنا نصادف الوفاً من الخفافيش المعتادة حياة الظلمة والرطوبة جاثمة على الجدران والصخور ، وشاهدنا زرقها الذي ظل يتراكم منذ مئات من السنين فأصبح اكواماً كالبيادر · وقد افهمت القرو يين الذين رافقوني منافع هذا الزرق وانه من انفع الاسمدة المؤدية لخصب الارض وان الاوربيين يستجلبون مثيله من جزر اميركا الجنوبية ويدعونه (غوانو) و يبيعونه حتى في بيروت بأغلى الاثمان ، ونصحتهم بان يخرجوا منه ما يكفيهم ويسمدوا حقولهم وكرومهم فوعدوني بالايجاب ·

هذا وما زلنا في صعود وهبوط ودخول وخروج حتى أعيينا وخشينا ان نصل الى فوهة بركان قد لا يرحمنا كما رحم سائحي رواية (جول فرن) فلا يقذفنا سالمين · لاسيما وقد اخذت منا قشعريرة الرطوبة في تلك الكهوف الظلماء كل مأخذ فاكتفينا بما رأيناه وعدنا أدراجنا الى فوهة المغارة وشرعنا بالصعود رويداً رويداً نستعين باليدين والرجلين الى ان منّ الله علينا بالوصول الى سطح الارض ورؤية النور والشمس فانتصبنا ننفض عنا آثار حياة الآخرة و يهنئ بعضنا بعضاً بالسلامة ·

وقد ظهر ان الذي أعان القوم على الحفر والنقب هو لين الحجر الذي يتكوّن منه الجبل لانه من الصخور الطباشيرية البيضاء المنتسبة للدور الثلاثي من ادوار الجيولوجيا ·

ولو كان من الصخور البركانية كالبازالت الاسود لما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . على ان لين هذا الصخر جعله بحيث يتأثر على كر الاحقاب بفعل العوامل الطبيعية من حر وقر ، ولذا ترى السيول تصدعه وتجزئه رويداً رويداً . وهذا ماجعلني ارى في اكثر الاقباء جلاميد عظيمة ساقطة من اعلى السقوف او الجدران وقد سدت بعض الابهاء والدهاليز او شعثت الدروب .

ثم ان الادلاء قادوني الى مغارة ثانية اصغر من الاولى بكثير ، وفيها ماء عذب يرشح من نبع من سقفها و يسيل بلا انقطاع القطرة تلو القطرة ، وقد وضع الاقدمون في موضع سقوطه على الارض جرناً تجتمع القطرات فيه فيتكوّن منها كمية من الماء تكفي لشرب عشرات من الرجال . وقادوني الى مغارة ثالثة فيها سرداب قليل العمق ينبع من جداره ماء عذب ، حفروا له حوضاً كانوا يستقون منه عند اللزوم . ولا يزال رعاة الغنم والابل السائمة في هذه الجبال وبعض الاشرار الهاربين من يد القضاء يلجؤون احياناً الى هاتين المغارتين ويتقمون بمياههما .

وقد سألت الادلاء وصاحب القرية القريبة لهذه المغاور عما اذا كان دخلها قبلي احد من مفكري البلاد او من السياح الاوربيين فأجابوني عن الأولين بالسلب وعن الثانين بانه لم يزرها الا سائحان المانيان قبيل الحرب العامة ذهبا على امل الرجوع للبحث والتنقيب فيها فحالت الحرب دون عزمهما . وذكروا خرافة عن سائح مغربي قالوا انه قرأ وهو في بلاده في احد الاسفار القديمة خبر مغارة ام السرج وعلم بانها تحوي كنزاً عظيماً فجاء اليها واستصحب ادلاء من القرية ولكنه لما وصل بعدالبحث والتنقيب الطويلين الى باب الكنز وحاول فتحه هوت صخرة عظيمة من سقف القاعة فسدته . ولما عجز عن زحزحتها او تحطيمها رجع خائباً .

وبعد مغادرتي تلك الربوع راجعت كتب التاريخ والآثار التي تبحث عن الديار الحلبية فلم اجد ذكراً لضالتي سوى بيان موجز لما كانت عليه بلدة منبج او (Hiérapolis) من العمران والرقي في العصور القديمة والمتوسطة . قال « ايزامبر » و «شوفه » مؤلفا كتاب دليل الشرق (Itinéraire de l' Orient) ما ملخصه : ان السريانيين كانوا يسمون منبج « مابوج » ثم جاء اليونانيون فدعوها

هيرابوليس اي (البلدة المقدسة) لانها كانت العاصمة الدينية لكل بلاد الآراميين. فقد ذكر المؤرخ (لوسيان) ان هيكلها كان من أفخم الهياكل وأغناها في تلك العصور ومن اكثرها حظوة باحتفال الأعياد والمواسم . وكان هذا الهيكل مخصصاً للات « ربة » سورية التي دعاها المؤرخ سترابون (آترا كاتيس) . وكان صنم هذه اللات يمثلها راكبةً على مركبة تجرها الاسود وفي يدها آلة موسيقية وعلى رأسها التاج . وكانت منبج قديماً بلدة حصينة ، لان كيخسرو لما هاجمها وجدها محاطة باسوار منيعة لم يستطع اقتحامها فاكتفى بمطالبة اهلها بجزية قدرها ثلاثة آلاف دينار فضي . وكان باب هذه الأسوار في الجهة الغربية ، وأمام الباب بحيرة وسيعة وجد فيها المؤرخ « لوسيان » سمكاً مقدساً لدى المنبجيين ورأى في وسط البحيرة هيكلاً من الرخام يمثل ربة السمك وذكر انهم كانوا في ايام الأعياد والمواسم ينقلون جميع اصنام أربابهم ويصفّونها حول هذه البحيرة ويقيمون حفلاتهم الدينية و يرقصون ويطربون النح .

واليك ما ذكره السائح الاندلسي ابن جبير عن مدينة منبج التي مرّ بها في اوائل القرن السابع . قال : « هذه بلدة فسيحة الأرجاء صحيحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد الغاية والانتهاء ، جوها صقيل ومجتلاها جميل ، ونسيمها أرج النشر عليل ، نهارها يندي ظله ، وليلها كما قيل فيه سحر كله ، تحف بغربيها وشرقيها بساتين ملتفة الاشجار مختلفة الثمار ، والماء يطرد فيها ويتخلل جميع نواحيها وخص الله داخلها بآبار معينة ، شهدية العذوبة ، سلسبيلية المذاق ، تكون في كل دار منها البئر والبئران وارضها ارض كريمة تستنبط مياهاً كلها وأسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعاً وكبراً ، واعالي سوقها مسقوفة ، وعلى هذا الترتيب أسواق اكثر مدن هذه الجهات . لكن هذه البلدة تعاقبت عليها الأحقاب حتى اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفيها تنقطع عنها وتنحاز منها الخ .

فبلدة مقدسة هذه حالتها في تلك العصور من الرفه والعمران لا يبعد ان يقوم سكانها و يحفروا على مقربة منهم هذه المغاور التي وصفتها ويتخذونها امامعبداً اوحصناً او معقلاً . هذا اذا لم يكونوا جعلوها مدفناً لعظمائهم او مذخراً لكنوزهم ودفائنهم

التي لم يسعدني الحظ بالعثور عليها و ياللأسف · ولعله يقوم غيري من ارباب الولع او يأتي امثال اللورد كارنارفون فيبذل من المتاعب والنفقات ما عسى ان يوصله لما يشبه كنوز «توت عنخ آمون» وكل مفعول جائز ·

المهندس الزراعي
وصفي زكريا

مطبوعات حديثة

مذكرات تاريخية

«لأحد كتاب المفكرات الدمشقيين نشرها الخوري قسطنطين الباشا»

«مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ص ٢٥٥»

تبدأ هذه المذكرات [illegible] بتولي سليم باشا والي دمشق وتنتهي بسنة ١٨٤١ (١٢٥٧ ﻫ) ويتناول سياقها فيها الكلام على حوادث دمشق قبل مجيء المصريين ثم فتح ابراهيم باشا الشام وما يخلله من الحروب والثورات حتى عاد الى مصر ورجعت تركيا الى القبض على زمام الامر في الشام · وفيه تفصيل مقتل البادري توما كما سمعها كاتب المفكرات من ألسن الجمهور · وجميع هذه المفكرات مشبعة بروح العامية ومكتوبة بلهجة عامية · وكان على الناشر ان يرجعها الى العربية الصحيحة كما عنى لها وعلق حواشيها · وبعض الحواشي لا علاقة له بالموضوع · وكنا نتمنى ان يصون الناشر قلمه عن تسطير ماسطره في مقدمته مما يثير الحفائظ ويلقي بذور البغضاء في زمن أشد ماتكون هذه الامة الى التعاطف والتآلف · والمنصف يجب ان يبحث عن القاتل كيف قَتل وعن المقتول كيف قُتل · وليست حزازات النفوس والاغراض الطائفية من التاريخ الحقيقي في شيء ·

م · ك

التي لم يسعدني الحظ بالعثور عليها و ياللأسف · ولعله يقوم غيري من ارباب الولع او يأتي امثال اللورد كارنارفون فيبذل من المتاعب والنفقات ما عسى ان يوصله لما يشبه كنوز « توت عنخ آمون » وكل مفعول جائز ·

المهندس الزراعي
وصفي زكريا

مطبوعات حديثة

مذكرات تاريخية

« لأحد كتاب الحكومة الدمشقيين نشرها الخوري قسطنطين الباشا »
« مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ص ٢٥٥ »

تبدأ هذه المذكرات سنة ١٨٣١ بقتل سليم باشا والي دمشق وتنتهي بسنة ١٨٤١ (١٢٥٧ هـ) تناول راقمها فيها الكلام على حوادث دمشق قبل مجيء المصريين ثم فتح ابراهيم باشا الشام وما تخلله من الحروب والثورات حتى عاد الى مصر ورجعت تركيا الى القبض على زمام الامر في الشام · وفيه تفصيل مقتل البادري توما كما سمعها كاتب المفكرات من ألسن الجمهور · وجميع هذه المفكرات مشبعة بروح العامية ومكتوبة بلهجة عامية · وكان على الناشر ان يرجعها الى العربية الصحيحة كما عني لها وعلق حواشيها · وبعض الحواشي لا علاقة له بالموضوع · وكنا نتمنى ان يصون الناشر قلمه عن تسطير ماسطره في مقدمته مما يثير الحفائظ ويلقي بذور البغضاء في زمن أشد ماتكون هذه الامة الى التعاطف والتآلف · والمنصف يجب ان يبحث عن القاتل كيف قَتل وعن المقتول كيف قُتل · وليست حزازات النفوس والاغراض الطائفية من التاريخ الحقيقي في شيء ·

م · ك

تاريخ الكويت

« تأليف السيد عبد العزيز الرشيد طبع في المطبعة العصرية في بغداد »
« ١٩٢٦ — ١٣٤٤ و٤٥ : جزآن الاول ٢٣٦ ص والثاني ٢٦٣ ص »
« مع الوسوم »

هو اول تاريخ من نوعه في هذه الامارة العربية جود فيه مؤلفه الفاضل موضوعاته فذكر الكويت وتاريخها وحالتها الطبيعية ومساجدها وقراها وآثارها ومواردها وصنائعها ومدارسها وحركتها العلمية وعاداتها وأخلاقها ورجالها وأدباءها وشعراءها وتاريخ امرائها آل صباح ونسبهم وسياستهم وسياسة الدول المجاورة لهم الى غير ذلك مما فيه فوائد جميلة ، كتبت بانسجام ورقة وفصاحة يشكر عليها . الا اننا أخذنا على المؤلف تعرضه في كتابه النافع الى مسائل لا شأن لها بتدوين تاريخ مثل هذا يكتب للجيل الحاضر والجيل القادم مثل مسألة حراثي مثلاً فانها من المسائل التي يحدث مثلها في كل بلد وليست جديرة بالتدوين وتدوينها هو غاية ما يرمي اليه هذا الرجل كما ان هناك اشعاراً ليست جديرة كلها بالتدوين وكان عليه ان يكتفي بابيات قليلة منها او يتركها دفعة واحدة تنزيهاً للتاريخ من ذلك .

وقد ذكر المؤلف ان الكويت لم تكن عامرة قبل ان ينزلها امراؤها من آل الصباح (واميرها الشيخ احمد بن جابر آل الصباح) وآل سعود وآل خليفة وهم من قبيلة عنزة ولا يقل عهدهم فيها عن مئتي سنة فعمروها بالحجر وكانت اكواخاً حقيرة فتديروها . والكويت تصغير كوت والكوت كلمة متعارفة في العراق ونجد وما جاورها من البلاد العربية وبعض بلاد العجم تطلق على البيت المربع المبني كالحصن والقلعة وغيرها مما يبنى لحاجة و يبنى حوله بيوت صغار و يكون ذلك البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عنده ولا يطلق الا على ما كان قريباً من الماء بحراً كان او نهراً او بحيرة او مستنقعاً ونفوس الكويت اليوم ٨٠ الفاً .

م . ك

بلوغ الارب
«في معرفة أحوال العرب»

لم يشتهر في مصنفات عصرنا كهذا المصنف : وذلك لمكانة مؤلفه علامة العراق المرحوم السيد محمود شكري الالوسي من جهة . ولاحتياج الامة العربية اليه في نهضتها الحاضرة من جهة ثانية . ومما زاده اشتهاراً . ورفع له في عالم التصنيف منارا . أنه ألف بناء على اقتراح ملك أسوج . وبعد إتمامه وتقديمه اليه نال جائزة من لجنة الألسنة الشرقية في استوكهلم . وكان هذا الكتاب طبع في بغداد حين صدوره سنة ١٣١٤ لكن طبعه لم يكن بالمتقن فانبرى له الاستاذ السيد محمد بهجت الأثري بناء على امر أستاذه مؤلف الكتاب فأعاد عليه نظره وصححه وضبطه وعلق عليه في ذيل الصفحات تعاليق وهوامش لغوية وتاريخية غاية في الفائدة والأمتاع . وقد قام بنشره وطبعه السيد محمد جمال صاحب المطبعة الأهلية بمصر فوقع في ثلاثة أجزاء أهداها الى مجمعنا العلمي . وقد بلغت صفحات الاجزاء الثلاثة زهاء ١٢٠٠ صفحة واجتهد الناشر الموما اليه في خدمة الكتاب على الطريقة الحديثة فألحق في آخر كل جزء ثلاثة فهارس : فهرس لمواضيع الكتاب وفهرس لاسماء الرجال والنساء والفهرس الثالث لاسماء البلدان والقبائل وغيرها . اما محتويات الاجزاء فظاهرة من اسم الكتاب : فان مؤلفه العلامة جمع فيه أخبار العرب وأديانهم وعاداتهم وخرافاتهم وحروبهم وكل ما يهم الأديب والمؤرخ معرفته من امورهم فهو دائرة معارف لجاهلية العرب جمعت شتاتها واستوعبت ما تفرق منها فجزى الله مؤلف هذا الكتاب خيراً وأحسن كل الإحسان الى الفاضلين مصححه وناشره . «المغربي»

هدايا كتب للمجمع

أهدى السيد محمد جمال صاحب المكتبة الاهلية بمصر طائفة من الكتب الى مجمعنا العلمي وبعض هذه الكتب مما طبعه هو وبعضها مما طبع على نفقة غيره :

(١) كتاب «عظة الناشئين» في تربية الأحداث وطبع نفوسهم بطابع الأخلاق

الفاضلة . وهو للاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني الغني بشهرته عن التعريف . وهذه الطبعة هي الطبعة الثانية للكتاب مضبوطة بالشكل . وفي ذيل صفحاتها هوامش وتعليقات ذات بال وهو في زهاء ٢٠٠ صفحة .

(٢) كتاب « بلاغة العرب في القرن العشرين » للأديب الفاضل السيد محيي الدين رضا ضمنه شذرات وأشعاراً مختارة من أقلام بلغاء العرب في اميركا (كجبران والريحاني وغيرهما) . وهو ايضاً الطبعة الثانية للكتاب منقحة ومزدانة ببعض الرسوم وتبلغ صفحاته الثلاثمائة صفحة .

(٣) كتاب « دروس التاريخ الاسلامي » من تصنيف المرحوم الشيخ محيي الدين الخياط وهو القسم الخامس من الكتاب يشتمل على مجمل تاريخ الدول الاسلامية في الاندلس وعلى إجمال تاريخي لبقية الدول الاسلامية الصغرى . وهذا الكتاب في نحو ٢٥٠ صفحة .

(٤) كتاب « الخليقة ونظامها » بقلم الفاضل السيد امين الغريب صاحب مجلة الحارس وهو مما أهدته مجلته الى قرائها في بعض أعوامها . وقد أبان في هذا التأليف علاقة كل أجزاء الوجود بعضها ببعض وهو في نحو (١٢٠) صفحة حسنة الطبع والتبويب .

(٥) « ميزان النفس » كتيّب صغير أدبي أخلاقي ترجمه عن الانكليزية بتصرف قليل الاديب السيد توفيق زيبق . وهو طبعة ثانية منقحة تبلغ صفحاته (٧٤) صفحة .

(٦) « لباب الخيار في سيرة النبي المختار » كتاب مدرسي في السيرة النبوية من تصنيف الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني . وهي طبعة ثالثة مضبوطة بالشكل ومخدومة بالتعليق تبلغ صفحاتها (١٤٠) صفحة .

(٧) « الاسلام روح المدنية » او « الاسلام وكرومر » من تصنيف الاستاذ الغلاييني ايضاً . ضمنه الرد على اللورد كرومر فيما مسّ به الاسلام في كتابه (مصر الحديثة) وأهمّ مواضيع الكتاب البحث في (المدنية الاسلامية) و (التعصب في الاسلام) و (الرق في الاسلام) و (المرأة في الاسلام) و (خاتمة) حقق فيها

ان الدعوة حياة الأديان وهي الطبعة الثانية للكتاب مضبوطة ومصححة وتبلغ صفحاتها المائتين والاربعين صفحة ·

هـذه هي الكتب التي أهداها الى مكتبتنا السيد محمد جمال فاستحق بذلك الشكر والثناء ·

كتب ورسائل مختلفة

(١) فهرس عمومي للكتب القديمة والحديثة في مكتبة السيد يوسف اليان سركيس واولاده بمصر عن سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ·

(٢) المجموعة السنوية لغرفة تجارة حلب طبعت في المطبعة المارونية بحلب سنة ١٩٢٥ باللغتين العربية والفرنسية ·

(٣) كراسة للاستاذ (كامبفماير) فيه ترجمة بعض شعراء دمشق وشيء من شعرهم مع ترجمة بعضها الى الالمانية ·

(٤) قرارات حكومة اتحاد الدول السورية عن سنة ١٩٢٤ طبع في مطابع قوزما في دمشق وبيروت في جزئين باللغتين العربية والافرنسية الاول في ٢٩٩ صفحة والثاني في مثله من الصفحات ·

(٥) « درس مؤلم » مجموعة قصص · تأليف السيد شحاته عبيد طبعت في مطبعة السفور بمصر في ١٦٨ ص ·

(٦) « ثريا » مجموعة قصص تأليف السيد عيسى عبيد مؤلف (احسان هانم) طبعت بمطبعة رعمسيس بمصر في ١٦٢ ص ·

(٧) « النبي » للسيد جبران خليل جبران تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير عني بنشره السيد يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب وطبع في المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٦ في ١٢٠ ص وقد ألحق به ملحق في ٣٥ ص من تعريب المعرب المومأ اليه وفي الموضوع نفسه وتحليل روح المؤلف ·

(٨) ثلاث رسائل (١) مقالة « كلاّ » وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس